السبت 25 حزيران 2022
العدد 4663 السنة السادسة عشرة
Samedi 25 Juin 2022 nº 4663 16ème année

24 صفحة
5000 ليرة

# الأخبار
al-akhbar

www.al-akhbar.com

## إيران - إسرائيل: حرب غير صامتة

تل أبيب لرعاياها: «لا تتكلّموا العبريّة بصوتٍ مُرتفع»! [10]

## أزمة الحكومة: تعديل للأسماء أو للحقائب؟ [2]

## عرب خلدة ارسلانيون، حريريون لبنانيون... ولكن!

[4 ـ 5]

(مروان بوحيدر)

كلمات

حسن عبدالله: النصوص الأخيرة

البلاد

أحوال غزة

مصيدة التسويق الشبكي: أن تفقد المال... والأمل [12]

شتات

عاملات نظافة في شوارع المخيّمات: «الشغل مش عيب» [13]

أهل الأرض

بادية القدس [14]

المشهد السياسي

# أزمة التعديل الحكومي: أسماء أم حقائب؟

(هيثم الموسوي)

لم يكُن سهلاً على رئيس الجمهورية العماد ميشال عون ورئيس التيار الوطني الحر النائب جبران باسيل تجرّع الكأس المُرّة بتكليف الرئيس نجيب ميقاتي تشكيل حكومة جديدة، وهو ما بدا جلياً في موقف باسيل الذي توجّه به إلى الحلفاء الذين تجاهلوا ترشيح اسم آخر، ما قد يؤدي إلى استخدام كل الوسائل لتقوية موقعه التفاوضي في مشاورات التأليف، وأبرز ورقة لديه هي توقيع الرئيس عون، الذي تقول مصادر مطّلعة إنه «لن يُعطي لميقاتي حكومة لا يحجز فيها باسيل حصة وازنة».

في موازاة هذه القراءة، رأت المصادر أن كلام باسيل، ثم تصريحات ميقاتي عن تفعيل حكومة تصريف الأعمال، تعبّر عن تسليم بوجود أزمة حقيقية بين الطرفين تجعلهما مقتنعين بعدم إمكانية تأليف حكومة خلال فترة قريبة، مُشيرة إلى أن مسار التأليف سيكون مشدوداً بحبال متفرقة، كل منها يُمسك بها لجهته وتكريس نفوذه الحكومي، وستكون المواجهة الأساسية والظاهرة بين عون وفريقه من جهة، وميقاتي من جهة أخرى. لكن الجميع يدرك أن المشكلة الحقيقية تكمن في عودة الخلافات القوية بين رئيس مجلس النواب نبيه بري والرئيس عون وباسيل وتشمل الحكومة وأموراً أخرى.

وتبيّن أن وساطة قامت بها مرجعية رسمية لم تحقّق نجاحاً لترتيب تواصل مباشر بين الرئيس ميقاتي وباسيل، وأن انقطاع العلاقات مستمر بين الجانبين قبل التكليف وبعده. وأن موقف عون وباسيل من فكرة التعديل الوزاري مرتبط بالموقف من ضرورة أن تكون الحكومة مكتملة الشرعية من خلال منحها ثقة مجلس النواب، وذلك لمنع بروز مشكلة في حالة عدم تمكن المجلس النيابي من انتخاب رئيس جديد للجمهورية.

وبينما تبدي غالبية القوى خشية من هذا الأمر، تقول مصادر متصلة بالرئيسين بري وميقاتي إنهما يناقشان اجتهاداً دستورياً يقول بأنه في حال عدم التمكن من تشكيل حكومة جديدة، وحصل أن تعثّر انتخاب رئاسي في الموعد المقرر دستورياً، فإن هذه الحكومة تعدّ حكومة كاملة الصلاحيات لعدم وجود بديل منها، وبالتالي يمكنها أن تدير البلاد وتمسك بصلاحيات رئاسة الجمهورية. وهو أمر يرفضه خبراء كثر في الدستور ويرونه «فصلاً غير مسبوق في التفكير الهادف الى عدم تشكيل حكومة جديدة لأنه لا يمكن الوصول الى تسوية واضحة مع فريق الرئيس عون» على ما قال أحد المعنيين.

وفيما تبدأ استشارات الرئيس المكلف مع الكتل النيابية الثلاثاء المُقبل، كشفت مصادر بارزة أنه «ستُسبقها مشاورات جانبية تبدأ غداً الأحد للبحث في عدد من الخيارات، وبما خصّ فكرة التعديل الوزاري، قالت المصادر إن الخلاف الفعلي قائم حالياً حول ما إذا كان الرئيس المكلف يريد تغييراً واسعاً يشمل الأسماء والحقائب، بينما قال الرئيس بري لمتّصلين به، إنه يفهم التعديل الوزاري على أنه استبدال لكل فريق ممثله باخر إذا وجد حاجة الى ذلك، شرط عدم المس بالتوزيع القائم للحقائب طائفياً ومذهبياً. بينما يظهر من المناقشات عدم ممانعة التيار الوطني الحر حصول تعديل على الحقائب أيضاً بما يمنع حصر حقيبة بطائفة دون أخرى، في إشارة مباشرة الى وزارة المالية. فيما لم يعلن الرئيس ميقاتي تصوّره النهائي لأي تعديل يريده. ومع رفض القوى الأخرى التي لم تسمَّ ميقاتي المشاركة في حكومة وحدة وطنية، وتحديداً «القوات» اللبنانية والحزب التقدمي الاشتراكي وبعض النواب المُستقلّين الذين أعلنوا عن ضرورة مواجهة أيّ حكومة سيشكلها ميقاتي، كما صرّح النائب عبد الرحمن البزري. فإن «بلبلة» تسود العلاقة بين ميقاتي وجنبلاط، ويبدو أن هناك تفسيرات إضافية؛ من بينها أن النائب تيمور جنبلاط يرفض المشاركة نهائياً في أي حكومة، وأن إصراره على تسمية نواف سلام لم يكن مرتبطاً فقط بالتناغم مع جهات خارجية بقدر ما كان بوابة للخروج من حكومة ميقاتي. وتقول المصادر إن جنبلاط الابن أثار مسألة توقف ممثلي الاشتراكي في حكومة تصريف الأعمال عن القيام بأعمالهم سريعاً جداً. وهو أمر يظهر استراتيجية جديدة لا أحد يحسم ما إذا كان بمقدور جنبلاط الابن فرضها بخلاف رغبة أبيه.

أما نواب «التغيير» الذين خرجوا من امتحان الاستشارات النيابية المُلزمة منهكين مشتّتين، ما جعل توحّدهم في تكتل أو إطار نيابي موحد على المحك، فقد ظهر عليهم التعب السياسي الذي فرض استراحة «مدتها 24 ساعة لأخذ النفس» كما قالت أوساطهم. وهذا التشتّت يعود إلى «سوء إدارة الحوارات الداخلية في ما بينهم»، فضلاً عن «الفشل في الاتفاق على آلية لاتخاذ القرارات، بعدما تحوّل النواب إلى رهائن لمواقفهم الشعبوية». لذلك، وفي ضوء النتائج المترتّبة أخيراً، تقرّر عقد خلوة بين الزملاء الـ 13. وفيما بقي المكان والزمان متروكين إلى حينه، علمت «الأخبار» أن الخلوة ستكون عبارة عن «مشروع ورشة

> امتحان آخر يخرج منه نوّاب التغيير منهكين ومشتّتين

نيابية - إدارية»، ومن بين المواضيع المطروحة على جدول أعمالها، إجراء هيكلة تنظيمية يتم خلالها توزيع المهام بين النواب، وإعادة الاعتبار إلى أمانة السر والاتفاق على آلية تصويت داخل الكتلة، فيما ترك موضوع رئاسة الكتلة للنقاش الجانبي، وسط معلومات تُشير إلى تباين في وجهات النظر بين فريقين: الأول يطلب اعتماد آلية لانتخاب الرئيس كل 6 أشهر، فيما الفريق الثاني يطرح فكرة التناوب على رئاسة الكتلة شهرياً.

على صعيد آخر، وبعد انتهاء استراحة الـ 24 سيعاود النواب الاجتماع غروب الأحد (ميدنياً) من أجل بحث التوجهات يوم الاستشارات النيابية غير الملزمة التي يستضيفها مجلس النواب مطلع الأسبوع. وفي هذا المجال، علمت «الأخبار» من مصادر النواب أن التوجّه هو إبلاغ رئيس الحكومة المكلف نجيب ميقاتي عدم الرغبة في المشاركة بالحكومة او تسمية أيّ ممثل عنهم «لأنها عبارة عن حكومة محاصصة سياسية تمثل أحزاب المنظومة». وقال أحد هؤلاء النواب إن «جلسة الاثنين مع ميقاتي ستحدد بوصلة التعامل معه، ولو أن الانطباع بات واضحاً منذ الآن، مؤكداً أن «قرار رفض المشاركة بالحكومة الميقاتية سينسحب لاحقاً على قرار «حجب الثقة عنها» في حال تشكّلها.

(الأخبار)

## أخبار

### نقابة رياض سلامة تنتفض

يبدو أن تكليف حاكم مصرف لبنان رياض سلامة بملف إعادة هيكلة المصارف وصياغة القانون اللازم لذلك، أمّن دفعاً لكل محور «حزب المصرف» نحو إعادة تنظيم صفوفه ورسم خطط الهجوم. وفي توقيت لافت، قرّرت نقابة موظفي مصرف لبنان الاحتجاج على قيام القاضية غادة عون بإجراءات وصفتها النقابة بأنها «تتعارض مع الأصول القانونية». وقد عقد مجلس النقابة اجتماعاً طارئاً لرفض ما زعم أنه «هجمة مستنكرة على مصرف لبنان وموظفيه والبحث في الأمور الواجب اتخاذها». ولوّحت النقابة بأنها ستصعّد الأمور، إذ دعت إلى جمعية عمومية طارئة صباح يوم الاثنين في 2022/6/27 وإبقاء اجتماعات مجلس النقابة مفتوحة.

واضح أن الحاكم حرك نقابته التي يرأسها عباس عواضة والتي انسحب منها عدد من الموظفين احتجاجاً على مقاربة مصالح الموظفين من زاوية مصالح أخرى دائماً. ويبدو أن عواضة، مثل كل زملائه السابقين من رؤساء النقابة في مصرف لبنان، محظيّون لدى الحاكم، إذ اختاره الحاكم لتولي مهمة إدارة منصّة «صيرفة» بكل ما فيها من نقص في الشفافية في جانبَي التمويل والعمليات الجارية بيعاً وشراءً للبرة، علماً بأن الشكوك ازدادت أخيراً وتجمعت معطيات مفزعة حول عمل المنصّة والصرافين الأساسيين الذين يتعامل معهم مصرف لبنان عبرها. وهذه النقابة هي نفسها التي كانت تبحث عن أكباش بين الموظفين للتضحية بهم عندما تسرّبت أخبار عن تصحيح أجور (التصحيح تم من خلال احتساب الأجور بسعر صرف معين للدولار) لموظفين على حساب آخرين.

### لماذا انفصل بنك الموارد عن جمعية المصارف؟

الخبر انتشر أمس على نطاق واسع. فالبيان الصادر عن بنك الموارد كان واضحاً بأنه يعلّق عضويّته في جمعية المصارف. لكن السؤال لماذا فعلها مالك البنك مروان خير الدين؟ المعطيات المتوافرة تشير إلى أن العديد من المصارف تبدي امتعاضها من سلوك رئيس جمعية المصارف سليم صفير وتفرّده باتخاذ القرارات مع حلقة ضيقّة من أعضاء الجمعية، وذلك من دون التشاور مع باقي الأعضاء. وهذا الأمر دفع عدداً من أصحاب المصارف إلى توجيه انتقادات علنية للجمعية، مثل الانتقادات التي ساقها رئيس مجلس إدارة البنك اللبناني السويسري تنال الصباح في مقابلته المتلفزة الأخيرة. إلا أن أحداً من أعضاء الجمعية لم يأخذ قراراً سلبياً تجاه قيادة الجمعية. وليس هناك أيّ توقّع بأن يقوم مصرفي آخر بما قام به خير الدين. ويتردّد أن الرسالة التي أرسلها مستشار الجمعية كارلوس عبادي إلى صندوق النقد الدولي للاعتراض على قانونية الاتفاق بين لبنان والصندوق أتت منفردة ودفعت بالجمعية إلى التعرض لانتقادات سلبية، بينما هي تسير مع «حزب المصرف» نحو القيامة وليس نحو السقوط. فمن أبرز ما ورد في هذه الرسالة أن الجمعية تطالب ببيع الذهب لتسديد ودائع المصارف لدى مصرف لبنان، وهو أمر لا يفترض أن تطرحه الجمعية بل أن تدفع في اتجاهه، نظراً إلى ما سيحمّلها من ضغوط سلبية في الشارع. وإلى جانب ذلك، هناك العلاقة التي تجمع خير الدين بحاكم مصرف لبنان رياض سلامة، وبرئيس الحكومة نجيب ميقاتي. إذ لا يتوقع أن يتم السكوت على خطوة سلبية تقوم بها الجمعية بوجه ميقاتي وسلامة اللذين يعملان في خدمة المصارف وسائر الطبقة الحاكمة.

### كبارة يغرّد خارج السرب

لوحظ تغيّب النائب كريم كبارة عن كل اللقاءات السياسية التي عُقدت في الأسبوعين الأخيرين، وهو ما فُسر على أنه حرص منه على ألا يُحسب على أي جهة سياسية. وكان مقرراً أن يشارك كبارة قبل الاستشارات في لقاء في منزل النائب نبيل بدر. لكنه لم يحضر، كما رفض الانضمام إلى كتلة «اللقاء النيابي الشمالي»، وعُزي ذلك إلى أن اللقاء محسوب على الأمين العام لتيار المستقبل أحمد الحريري. كما غاب عن اجتماع نواب طرابلس الذي عقد قبل أسبوع في دار الفتوى في طرابلس. وآخر الاجتماعات التي غاب عنها أمس عندما تخلّف عن تلبية دعوة النائب إيهاب مطر نواب طرابلس إلى طاولة مستديرة في الميناء، للبحث في قضايا المدينة. علماً أن كبارة أكد أن لا قرار مسبقاً بعدم المشاركة في الاجتماعين الأخيرين، وإنما غاب عن لقاء دار الفتوى لارتباطه بموعد فيما لم يتمكن من حضور اجتماع أمس بسبب وعكةٍ صحيّة.

### البابا يوثّب المطارنة الكاثوليك

صُدم أعضاء سينودس أساقفة الكنيسة البطريركية للروم الملكيين الكاثوليك، الذي ضم البطريرك يوسف العبسي وبعض المطارنة، أثناء لقائهم البابا فرنسيس في الفاتيكان من الكلام الذي سمعوه من الأخير بالنسبة لفساد بعض المطارنة والأمور غير المقبولة التي تقوم بها الكنيسة على حساب مصالح الرعيّة. وخرج هؤلاء من اللقاء بوجوه متجهّمة، واصفين كلام البابا بأنه كان عالي اللهجة ويحمل كثيراً من التأنيب.



مقالة

نجاد واكيم *

# عنزة ولو طارت

عندما كنا صغاراً في المدرسة علّمونا في كتاب التاريخ أنه في عام 1840، وقعت في لبنان «أحداث مؤسفة» امتدّت عشرين سنة وسالت فيها دماء غزيرة. قال لنا كتاب التاريخ والمدرّس الذي كان يعلّمنا التاريخ أن سبب تلك الأحداث كان الخلاف على «كلة - كرة زجاجية صغيرة» بين ولدين، واحد مسيحي من دير القمر والآخر درزي من بعقلين. امتد الاقتتال «الأخوي» عشرين سنة انتهى بصيغة اتفق عليها الاستعمار الوافد الجديد مُمثّلاً ببريطانيا وفرنسا، والاستعمار القديم المتمثّل بالسلطنة العثمانية، فحلّ الوئام والسلام بين اللبنانيين. وحلّت «عنزة» الوفاق محل «كلة» الشقاق، وأنشد الزجّالون: «نيالو من له فيه مرقد عنزتو».

حكاية «الكلة» و«العنزة» تكرّرت مرات عدة بعد عام 1860. تكرّرت إبان الإعداد لـ«دولة لبنان الكبير» وعند إعلان قيام «دولة لبنان الكبير». تكرّرت قبيل استقلال «دولة لبنان الكبير» وعند استقلال «دولة لبنان الكبير». لن أعود إلى هذه وتلك، بل أعود إلى تاريخ حديث لا يزال الكثيرون ممن عاشوا مرحلة الخمسينيات والستينيات يذكرونه، يذكرونه جيداً.

في خمسينيات القرن الماضي كانت الولايات المتحدة الأميركية قد أنجزت ورائتها للاستعمار القديم، البريطاني والفرنسي، في منطقة الشرق الأوسط. وكان جمال عبد الناصر قد خرج من الحيز الذي حُشر فيه محمد علي قبل قرن من الزمن. اجتاح النفوذ الهاشمي. وأقام الوحدة مع سوريا تحت اسم الجمهورية العربية المتحدة، وتصدّى لسياسة الأحلاف التي كانت الولايات المتحدة تحاول بها السيطرة على البلاد العربية وتطويق الاتحاد السوفياتي.

في لبنان أبدى كميل شمعون رغبته بالانضمام إلى «حلف بغداد». وقبل مشروع أيزنهاور. ونظّم تحت إشراف السفارة الأميركية انتخابات عام 1957 ليضمن أغلبية نيابية توافق على مشروع أيزنهاور، وتوافق على تجديد ولايته. هذ الأمر تصدّت له الجمهورية العربية المتحدة التي أمدّت المعارضة اللبنانية بالمال والسلاح. واندلعت أحداث عام 1958 التي انتهت بمعادلة، طرفاها هذه المرة كانا أميركا والجمهورية العربية المتحدة. وعلى هذه المعادلة قامت التسوية اللبنانية الجديدة «عهد فؤاد شهاب ونصف عهد شارل الحلو».

في عام 1967، وبقرار أميركي، شنّت إسرائيل حرباً تمكّنت فيها من هزيمة عبد الناصر وانقلبت على المعادلة اللبنانية فأنشأت «الحلف الثلاثي» الذي حقّق انتصاراً مدوياً على الشهابية في انتخابات عام 1968. ويجدر التذكير هنا بأن هذا الحلف كان يرفع شعار «السيادة وتحرير لبنان من الاحتلال المصري». ذلك الانقلاب على المعادلة المذكورة شكّل الخطوة الفعلية نحو الحرب الأهلية التي اندلعت في عام 1975. طلّت حرب «الكلة» مشتعلة خمس عشرة سنة انتهت بـ«عنزة» الطائف. ومن جديد، في ظل «الربيع الزاهر» عدنا إلى «نيال من له فيه مرقد عنزتو».

كانت معادلة «الطائف» تقوم على ركائز ثلاث: أميركا وسوريا والمملكة العربية السعودية. وكانت جزءاً من عملية الإعداد للسلام بين الدول العربية وإسرائيل. هذه المعادلة استمرت حتى عام 2000، إلى أن قررت الولايات المتحدة الأميركية طرد سوريا من المعادلة بسبب رفض حافظ الأسد الانصياع لشروط «السلام» التي كانت الولايات المتحدة الأميركية تُمليها على الدول العربية. وفي لحظة فاصلة مات حافظ الأسد.

في مؤتمر القمة الذي انعقد في بيروت في عام 2002، كرّر بشار الأسد رفضه لشروط «السلام» عندما أصرّ، ومعه الرئيس اللبناني إميل لحود، على تضمين مبادرة السلام التي قدّمها آنذاك الأمير عبدالله بن عبد العزيز بنداً يتعلق بحق عودة الفلسطينيين إلى بلادهم. عندئذٍ قرّرت الولايات المتحدة الأميركية طرد سوريا من المعادلة الثلاثية التي حكمت لبنان في الحقبة السابقة بعد مؤتمر الطائف، فحرّكت جماعاتها تحت شعارات «السيادة»، مرة أخرى «السيادة» ضد «الاحتلال السوري». وشهد لبنان أحداثاً كثيرة حتى عام 2005 عندما أُجبرت سوريا على سحب جيشها من لبنان. ومن جديد بدأت تُدَر الحرب الأهلية واستُخرجت من بطون تاريخنا العظيم حكاية «الكلة». أما «العنزة» فقد طارت.

طوال مرحلة التسعينيات وحتى عام 2005، كان حزب الله يتمتّع بقوة شعبية وسياسية وعسكرية مميزة ومتنامية. مع ذلك فإنه لم يدخل مرة إلى الحكومة مع أن حجم كتلته النيابية كانت تؤهّله لذلك. على أثر خروج السوريين من لبنان وانتخابات عام 2005، شارك حزب الله لأول مرة في الحكومة. كان ذلك يعني أنه جاء ليملأ الفراغ الذي خلّفه طرد سوريا من المعادلة. طبعاً لم يكن مرحّباً به، وفي عام 2006، وبقرار أميركي واضح شنّت إسرائيل حرباً على حزب الله وكان لحلفاء أميركا المحليين «فريق 14 آذار»، والإقليميين وعلى رأسهم المملكة العربية السعودية أدوار محددة في تلك العملية التي كان من بين أهدافها طرد حزب الله أو القضاء عليه ومنعه من أن يملأ الفراغ الذي خلّفه طرد سوريا من المعادلة.

لم تتمكن إسرائيل من القضاء على حزب الله، خلافاً لما كان متوقّعاً. غير أن الحزب وحليفه الشيعي «حركة أمل» ارتكبا خطأً تكتيكياً بسحب وزرائهما من حكومة فؤاد السنيورة ظناً منهما أن الحكومة سوف تنهار. غير أن الولايات المتحدة أبقت على تلك الحكومة العرجاء، «ميثاقياً»، التي تابعت تنفيذ التعليمات الأميركية وصولاً إلى 5 أيار و7 أيار 2008 حيث وُضع لبنان على شفير حرب أهلية.

كانت الولايات المتحدة الأميركية تعدّ لربيعها العربي، فقبلت بتسوية لبنانية مؤقّتة جسّدها اتفاق الدوحة في 21 أيار 2008، وركّزت أنظارها على سوريا، على الربيع الجهنمي الذي كانت تعده هناك. هل يكفي هذا للإجابة على سؤال خبيث لا يزال يتردّد عند «سياديّي» لبنان وهو لماذا ذهب حزب الله ليقاتل في سوريا؟

أواخر عام 2015، دخلت روسيا على خط الأزمة السورية، وساندت بقوة النظام في مواجهة المجموعات المسلّحة التي كانت تحركها الولايات المتحدة الأميركية وحلفاؤها الإقليميون. وفي عام 2016، بات واضحاً أن الدولة السورية تجاوزت خطر السقوط وإن كانت الطريق نحو الانتصار النهائي هناك لا تزال طويلة. أدركت الولايات المتحدة الأميركية ماذا يعني الدخول الروسي المباشر على خط الأزمة السورية، وأن الهدف الذي كانت قد حدّدته لذلك «الربيع» الدموي لم يعد تحقيقُه ممكناً. في تلك اللحظة ارتدّت أميركا نحو لبنان، وبدأت تعد لأمر ما. كانت البداية تشكيل «أوركسترا» سياسية وإعلامية، مدارة بشكل جيد، تعزف كلها على موضوع «سلاح المقاومة» هذا في الوقت الذي كان هذا السلاح يقاتل المجموعات الإرهابية في جرود لبنان ويقضي عليها. هي معزوفة «السيادة» من جديد.

بموازاة ذلك بدأت الولايات المتحدة تعدّ لتفجير الأزمة المالية الاقتصادية، فتوالت التقارير التي وضعتها مؤسسات التصنيف الائتماني كـ «موديز» وغيرها التي أخذت تخفّض المستوى الائتماني للدولة اللبنانية. ثم أُوعزت إلى المصارف وكبار الرأسماليين، وجُلّهم من السياسيين، بنقل أموالهم إلى الخارج لخلق المناخات الملائمة لـ«ثورة» الشعب اللبناني على أوضاعه الصعبة، وإلى دسم شعارات مكافحة الفساد واستقلالية القضاء، ورفع المعاناة عن الشعب الخ... أدخلت سمّ شعارات الحياد وسلاح المقاومة والقرار 1559 والقرار 1701، ومن جديد «السيادة وتحرير لبنان من الاحتلال الإيراني». وكان لافتاً، ومن اليوم الأول «للثورة»، المطالبة بإجراء انتخابات نيابية مبكرة ثم انتخابات نيابية في موعدها.

من دون الدخول في التفاصيل فإن نتائج الانتخابات التي جرت في 15 أيار سنة 2022، تشبه كثيراً نتائج انتخابات عام 1968.

مرة أخرى، ولا بأس من التكرار، كانت انتخابات عام 1968، انقلاباً أميركياً على المعادلة التي وفّرت الاستقرار للدولة اللبنانية ما بين عامَي 1958 و1968، وكانت الخطوة الأولى على الطريق إلى الحرب الأهلية.

بعد هذا كله فإن «الدولة» في لبنان اليوم لا ترتكز على أية معادلة خارجية ثابتة، لذلك أرى بوضوح «كلة» الشقاق التي أشعلت النار في جبل لبنان ما بين عامَي 1840 و1860 وامتدّت السنتها إلى سوريا.

... وأرى أيضاً «عنزة» الوفاق و«الصيغة الحضارية» تُجَرُّ بقوة إلى دكان الجزّار.

فما العمل؟

* نائب سابق ومؤسس «حركة الشعب»

على الغلاف

# عشائر عرب خلدة

## أرسلانيون ولكن... حريريون ولكن... لبنانيون ولكن!

**هم لبنانيون منذ «أكثر من 10 سنوات» بكثير، وتواجدوا في مناطقهم قبل أجيالٍ من إنشاء الدولة اللبنانيّة. ومع ذلك، يطعن كثيرون في وطنيّة أبناء العشائر العربيّة ليتم اعتبارهم مواطنين من الدرجتين الثانية والثالثة. وضعت الجغرافيا عرب خلدة في جناح الاقلية، لا هم عرفوا كيف يتأقلمون مع محيطهم ولا ساعدتهم بيئتهم الطائفية في انتزاع أدنى حقوقهم. لذلك هم «شيء من كل شيء»: ارسلانيون، ولكن... حريريون، ولكن... سُنّة، ولكن... لبنانيون، ولكن!**

(مروان بوحيدر)

**لينا فخر الدين**

على تلة جرداء كانت خيم ملوّنة تنتشر على طول الخط الساحلي بين خلدة ودوحة عرمون. كان هذا منذ أكثر من 25 عاماً، قبل أن تشتري الدولة بعض الأراضي من عشائر عرب خلدة لإنشاء أوتوستراد الجنوب. سريعاً، ترك البدو تربية المواشي التي كانت تسرح في المكان، فاشتروا أراضي في تلال خلدة ودوحة عرمون والنّاعمة... حيث شيّدوا أبنية ومنازل.

كانت «العشائر» عشيرة واحدة هي الزريقات، قبل أن «تفرخ» 7 عائلات تقطن ساحل خلدة وتلالها اليوم. يرفض هؤلاء القول بأنهم طارئون على المنطقة. يشير أحدهم إلى غرفةٍ سكنها أجداده، مشيّدة على أطراف تلة خلدة، مؤكداً أن عمرها يعود إلى أكثر من 500 عام: «نحن هنا منذ أكثر من 10 أجيال. وجودنا على الساحل اللبناني أتى على 3 مراحل: مع خالد بن الوليد، ثم الأمويين، وبعدها مع صلاح الدين الأيوبي». ويضيف: «نملك وثائق الملكية الأراضي في خلدة من رأس المرقاب حتّى قُفقُف الموج»، أي من قبل أن يُعتبروا لبنانيين في إحصاء 1932، هم الذين يحملون الرقم واحد في سجلات نفوس بلدة الشويفات، بليهم آل أرسلان الذين يحملون الرقم 2.

قبل أراضي الأوتوستراد باع عرب خلدة أراضيَ كثيرة إلى آل أرسلان وآل شمعون وآل بدر، ولم يتبقّ لهم اليوم سوى 200 ألف متر مربّع. بعضهم اشترى في المقابل أراضيَ في خراج بلدتي حمانا وعين دارة حيث كانوا يقضون 8 أشهر لتربية المواشي وزراعة الفواكه، فيما البعض الآخر يأخذ على الزعماء السياسيين أنّهم «شلّحونا أراضينا إما بالخجل أو بالتهديد بإرسال أولادنا بالسخرة إلى الحرب في عام 1914».

### دارة خلدة

عمليّات البيع التي «قضمت» أراضيهم ليست «السقطة» الوحيدة التي يأخذها أبناء العشائر اليوم على الأجداد. بالنسبة إليها، لم تُوفق العشائر في نسج العلاقات السياسيّة، ولو أنها تدرك أنها أقليّة في «جبل الدروز». العلاقة مع الأرسلانيين لم تقم على الندّيّة. فعلياً، أرادت «دارة خلدة» دائماً أن تكون ممثلاً حصرياً لعرب خلدة، وممراً دائماً لأي علاقة ينسجونها مع أي سياسي. يستذكر أحد مشايخ العشائر عندما «حرد» المير مجيد أرسلان يوم دُعي كمال جنبلاط إلى خلدة وتم استقباله بحرارة وأقيمت مأدبة غداء على شرفه. يأخذ بعض وجهاء العشائر على الأرسلانيين أنهم يريدون الولاء والطاعة مقابل الحد الأدنى من الحقوق. ويشيرون، بما لا يخلو من الغيرة، إلى «عرب الجنوب» الذين «يحظون بغطاء من الرئيس نبيه بري ويعتبرهم خطاً أحمر. وظّف أبناءهم في القطاع العام وصار منهم ضباط وقضاة وقائمقام».

**أرادت «دارة خلدة» دائماً أن تكون ممثلاً حصرياً لهم وممراً إلزامياً لأي علاقة ينسجونها مع أي سياسي**

رغم ذلك، لا أحد ينكر «فضل» الأرسلانيين. دارة خلدة هي «عزوتنا»، يؤكدون، وهم ما كانوا يترددون في طرق باب «المير مجيد» يوم كان وزيراً للداخلية طالبين منه خدمات لأقاربهم من عرب البقاع وعرب عكّار. وكما الأب كذلك الابن، إذ إنّ النائب السابق طلال أرسلان كان لهم سنداً، ولا يترددون في طلب الخدمات منه، ولا سيّما تلك المتعلقة بتشييد طابق إضافي أو حفر بئر مياه أو طلب وظيفة. قبل سنوات، وظّف 80 من أبناء العرب في بلدية الشويفات. وإذا كان كثيرون يعتبرون أن «المير طلال» لم ينصفهم في مجال تأمين وظائف في القطاع العام، إلا أنهم يدركون أن الرجل، ببساطة، لا «يمون» على الكوتا السنيّة.

### «الحريري وطن»

ولذلك، كان لزاماً التقارب مع الزعماء السنّة. كانت العلاقة مع الرئيس رفيق الحريري «مميّزة»، وكانت أبواب قريطم مفتوحة أمامهم متى شاؤوا للقاء الحريري الذي كان يتقصّد التحدّث معهم بلكنتهم البدويّة. يختصر أحد وجهاء العشيرة: «الرئيس الشهيد كان وطناً»، ولو أنّهم يأخذون عليه أنه «لم يقدّم رعاية خاصة للسنة، بل كان يردّد أنه غير طائفي»، ومثله فعل الرئيس سعد الحريري الذي «كان يردّد أنه لا يضع يده في أي مشروع تكون نهايته الدماء».

بالنسبة إليهم، «رفيق الحريري عزّز دور السُّنة وأعطى الصلاحيات لرئاسة مجلس الوزراء. لذلك مشينا معه كطائفة وخجلنا أن نطلب منه باسم العائلات. ولكن مع تضاعف دور السنة في عهد الحريري الابن صرنا نريد أن نستحصل على حقوق العشائر في الوظائف والحياة السياسيّة». لكنهم رغم كل الولاء للحريري الأب والابن من بعده، لم يستحصلوا على ما كانوا يطمحون إليه.

هكذا، بقي زعماء عشائر عرب خلدة يُقدّمون أوراق اعتمادهم إلى السياسيين من دون أن يجدوا حضناً يؤويهم ويميّزهم عن محيطهم. لا هم عرفوا كيف يتأقلمون مع الشيعة والمسيحيين، ولا أن ينتزعوا من الدروز استقلاليتهم، ولا حتى تمكّنوا من أن يتألفوا مع سنّة الشوف. ما يعزّ عليهم أن أبناء طائفتهم ينظرون إليهم على أنهم أقل درجة منهم. «المظلوميّة الكبرى»، بالنسبة إليهم، أنهم ليسوا تابعين للشوف حيث للوجود السني ثقل يمكنهم أن يزيدوا إلى ثقله ويحصّلوا في المقابل مكاسب يرونها من حقوقهم. عملياً، نفوسهم في عاليه حيث السنّة أقليّة، الأمر الذي لا يمكّنهم من أن يكونوا لاعباً يُحسب له حساب في الحياة السياسية أو الانتخابات النيابية، كما هي حال عشائر البقاع الأوسط مثلاً.

كلّ ذلك، حوّل عرب خلدة إلى سمكٍ يُنازع في محيطٍ لا يشبهه في الهوية السياسية أو الطائفيّة أو حتّى الاجتماعية، تماماً كالهوية اللبنانية التي لم ينجحوا في انتزاعها للحصول على حقوقهم، مكتفين بسنيّتهم التي لم تتقبّل تماماً تقاليدهم العشائرية. لذلك، لم يجدوا سوى فتح المعارك وإقفال الطرق ورقة قوّة تُعطيهم ميزة وتجعل منهم محوراً يمكن أن يفرض سطوته على الزعماء السياسيين، أو على الأقل كي يكون بإمكانهم القول «نحن هنا».



تقرير

خاضت حركة «سوا للبنان» المدعومة من رجل الأعمال بهاء رفيق الحريري الانتخابات النيابية الأخيرة، تحت شعار «دولة قوية لا ميليشيات مستقوية»، لينتهي بها الأمر، غروب 15 أيار، مجموعات مستقوية على بعضها بعضاً داخل الحركة الواحدة. وصل الخلاف بينها حدّ التضارب في الشوارع المحيطة بمبنى الجمعية في «أسواف بيروت»، ولم ينتهِ إلا باستدعاء القوى الأمنية للفصل بين «المتحاربين»

# أهل «سوا» يتفرّقون:
# صرف تعسّفي واستقالات واختلاس

**عبد الله قمح**

شكّلت الانتخابات النيابية الأخيرة، في غياب سعد الحريري، «فرصة ذهبية» للنجل الأكبر لرفيق الحريري لدخول عالم السياسة من باب «زعامة جاهزة» تحتاج فقط إلى من يمسك بها. لكن بهاء الحريري بدا شديد العجز عن القيام بأكثر من حملة إعلانية باهتة، قبل أن تذوب أحلام الزعامة. أسباب ذلك كثيرة، منها «مزاجيته» واعتماده على جيش من المستشارين، إما من غير الملمّين بالحياة السياسية، أو ممّن يرون في بهاء الحريري «مصدراً للرزق» أكثر منه مشروع زعيم!

ما يحدث داخل «سوا» أقل ما يقال فيه إنه حرب وليس خلافاً. ثمة فريقان داخل الحركة برزا قبل أسابيع من موعد الانتخابات، تنازعا داخلها قبل أن يسوّياها بالأرض. الأول يدّعي أن جذور المشكلة مالية، ويتهم الرئيس التنفيذي للحركة سعيد صناديقي باختلاس أموال انتخابية والفرار بها خارج البلاد، فيما الفريق الثاني يحمّل الأول مسؤولية «المذبحة»، متحدثاً عن دور سياسية - تنظيمية، تبدأ من تبنّي المشاركة في الانتخابات بلوائح مباشرة، والالتفاف على الاستراتيجية والحياة السياسيّة». لكنهم رغم كل الولاء للحريري الأب والابن من بعده، لم يستحصلوا على ما كانوا يطمحون إليه.

هكذا، بقي زعماء عشائر عرب خلدة يُقدّمون أوراق اعتمادهم إلى السياسيين من دون أن يجدوا حضناً يؤويهم ويميّزهم عن محيطهم. لا هم عرفوا كيف يتأقلمون مع الشيعة والمسيحيين، ولا أن ينتزعوا من الدروز استقلاليتهم، ولا حتى تمكّنوا من أن يتألفوا مع سنّة الشوف. ما يعزّ عليهم أن أبناء طائفتهم ينظرون إليهم على أنهم أقل درجة منهم. «المظلوميّة الكبرى»، بالنسبة إليهم، أنهم ليسوا تابعين للشوف حيث للوجود السني ثقل يمكنهم أن يزيدوا إلى ثقله ويحصّلوا في المقابل مكاسب يرونها من حقوقهم. عملياً، نفوسهم في عاليه حيث السنّة أقليّة، الأمر الذي لا يمكّنهم من أن يكونوا لاعباً يُحسب له حساب في الحياة السياسية أو الانتخابات النيابية، كما هي حال عشائر البقاع الأوسط مثلاً.

كلّ ذلك، حوّل عرب خلدة إلى سمكٍ يُنازع في محيطٍ لا يشبهه في الهوية السياسية أو الطائفيّة أو حتّى الاجتماعية، تماماً كالهوية اللبنانية التي لم ينجحوا في انتزاعها للحصول على حقوقهم، مكتفين بسنيّتهم التي لم تتقبّل تماماً تقاليدهم العشائرية. لذلك، لم يجدوا سوى فتح المعارك وإقفال الطرق ورقة قوّة تُعطيهم ميزة وتجعل منهم محوراً يمكن أن يفرض سطوته على الزعماء السياسيين، أو على الأقل كي يكون بإمكانهم القول «نحن هنا».

تعسفياً، وتجميد عمل «وحدة المشاريع» التي أنشئت لإجراء دراسات حول تنفيذ مشاريع خدماتية في المناطق، وصرف معظم موظفي مكتب الإعلام والتوجيه، ومعهم قسم المحاسبة الذي تحوّل إلى هدف لانتقام المصروفين. ومن جملة من أدرجوا على قائمة الانتقام، الرئيس التنفيذي سعيد صناديقي، الذي صدر قرار بطرده رغم أنه تقدّم باستقالته في كتاب رسمي قبل أكثر من أسبوع من موعد الانتخابات!

قرارات الحريري جعلت من الموظفين الإداريين في «سوا» ضحايا قبل أن يتحوّلوا إلى «قطّاع طرق». قبل نحو أسبوعين، قرّر هؤلاء الاحتجاج أمام مكاتب الحركة على صرفهم والمطالبة بتسديد مستحقاتهم. حصل هرج ومرج في باحات الشركة، ولاحق المصروفون رفاقهم الإداريين لينتهي الأمر باعتداء مرافقي صناديقي بالضرب على أحد المديرين ويدعى عبد عنتر.

يبرّر مقربون من الحريري ما حصل في الشركة بأنه «خلاف على مكافآت مالية» جرى توزيعها بشكل «غير متجانس». ويتّهمون صناديقي بتحريض موظفين على الإداريين انتقاماً ممّن يتهمهم بالوقوف خلف قرار إقصائه الذي «جاء كنتيجة طبيعية لكونه المسؤول السياسي عن الحركة، إلى جانب شبهات اختلاس تحوم حوله ويتم التحقيق فيها»، فيما يؤكد صناديقي لـ«الأخبار» أنه لم يتدخّل بالشق المالي إطلاقاً، قائلاً كرة الاتهام نحو مسؤولين «سارقين» سعوا إلى الانتقام منه، ومتّهماً أحد مساعدي بهاء بـ«التلاعب به»، وتوريطه في الانتخابات بعدما أقنعه بوجود إمكانية للخرق بنائب على الأقل في بيروت وثان في طرابلس. ثم «بعدما طيّر استرائيجيّتنا، اشتغل على تزخيطنا». ويشير إلى أنه «بعد الانقلاب على قرار عدم المشاركة في الانتخابات مباشرة بناءً على استشارة من خارج الحدود»، صدر قرار عن الحريري بإنشاء ماكينة انتخابية لإدارة المعركة، عيّن على رأسها أحد رجالاته الموثوقين، ألان بدارو، «وكان يتلقّى التعليمات من بهاء عبر خط مباشر، فيما كُنا نجهل ما يحدث في المكتب المجاور، وممنوعين من التدخل، وفي آخر المطاف حمّلنا مسؤولية الإخفاق».

رغم ذلك، تؤكد مصادر بهاء الحريري أنه مصرّ على إعادة هيكلة حركة صرف معظم موظفيها، فيما ينسحب أعضاء مجلس الأمناء المفترض أنه مسؤول عن إعادة إنتاجها بنسخة جديدة وأحدا بعد آخر، وآخرهم القاضي حاتم ماضي ورلى عجوز والمديرة الإدارية في «سوا» سلمى عاصي.

### SBI نحو إعادة الهيكلة

كحال حركة «سوا»، ستشهد منصّة صوت بيروت إنترناشونال SBI إعادة هيكلة ستؤدي إلى عمليات صرف. وفيما يفصل مديرها التنفيذي جيري ماهر بين ما يجري في مؤسسته وما يجري في «سوا»، يؤكد في اتصال مع «الأخبار» أن «إعادة تقييم ستجرى تتضمن تقليص سلة البرامج على نحو يبقي ما هو واسع الانتشار وتعزيزه». فيما بدأت ترتفع أصوات المهددين بقرارات الصرف من SBI، رغم تأكيد ماهر أن «لا أحد سيخرج زعلان»!

(مروان بوحيدر)

## شيخ عشيرة الزريقات: نريد نواباً للعرب

الطريق إلى «ديوانية أبو أمير» في خلدة، عند الطلعة المعروفة بـ«طلعة أبو ديب» أو «طلعة نائل»، تملؤها الحفر. تتوزّع داخل الديوانية مقاعد حمراء وثيرة. الشبابيك «فوميه» بسبب الإجراءات الأمنية. يجلس أحد وجهاء العشائر العربية رياض الضاهر بعباءته البيضاء، معتمراً العقال والشماغ، ويتحدث بلهجة بدوية. يرن هاتفه، كلمته التي يردّدها لمضيفيه «يا الله حيو»، يقولها أكثر من مرة قبل أن يدرك أن المتصل هو أحد الذين أطلقوا النار على أحد أبناء العرب من عشيرةٍ أخرى. يسأل عن كيفية حصول الحادثة قبل أن يقول له: «الله يشيل عنك الدم».

سريعاً، يُصدر حكمه بأن يصوم القاتل ويستغفر ربّه، ويبلغه أن «الأمر سيُحل، ولكن سأنفيك إلى خارج البلدة». يقفل «أبو زيدان» الخط ويكمل الحديث وكأنّ شيئاً لم يحصل.

بفخر، يلفت الشيخ إلى أنّ النائبين محمّد سليمان ومحمّد يحيى هما من العشائر العربية. مع ذلك، يؤكد أن عشائر العرب الموزعين في المناطق بحاجة إلى مقعدين نيابيين مخصّصين للعشائر أو حتّى استحداث وزارة تهتم بشؤون العشائر، إذ إن «أحوال العرب في كل المناطق تحتاج إلى متابعة خاصة».

يختصر العلاقة بالدولة بعبارة واحدة: «إنها الأم الفاسدة التي لا تنصف أولادها». ولا يخفي عتبه على السياسيين الذين رفضوا أن يساعدوا عرب خلدة وعرب السعديات على استحداث بلديات خاصة بهم، وإن كان الحريري الأب تمكّن بالاتفاق مع النائب السابق طلال أرسلان على إعطاء كوتا للعرب (عضو واحد) في مجلس بلدية الشويفات. يدرك «أبو زيدان» أن تحويل الشويفات من بلدة إلى مدينة وأد فكرة استحداث بلديّة خاصة بخلدة. لذلك، صار مطلبه محصوراً بأن تُعد خلدة حياً رابعاً من أحياء الشويفات (الإمارة والعمروسية والقبة) بدلاً من أن يكونوا تابعين لحي القبّة، ما يعطيهم شيئاً من حقهم باختيار مختارين أو 3 أسوةً بالأحياء الأخرى، وهذا ما يُسهّل عليهم إصدار شهادات الولادة والوفاة التي تُشكل صعوبة على أبناء العرب. أما بشأن ما يُحكى عن علاقات وطيدة للعشائر في لبنان مع امتداداتها في دول الخليج وارتداداتها على المستوى السياسي، فينفي شيخ العشيرة الأمر، مذكّراً أن دعوته إلى السفارة السعودية أخيراً كانت الأولى من نوعها. هناك لم يتردد الرجل بأن يُطالب بعلاقات مباشرة مع السفارة السعودية وثم الديوان الملكي وفتح علاقات مميزة من أكثر من مرجع للعشائر مع الدول الخليجيّة كي لا يكون ممرها محصوراً بشخص واحد، ولو أنه يعترف أن مطلبه ما زال شعاراً على ورق.

### «الحزب عدونا»؟

تختلف علاقة أبناء عشيرة عرب خلدة مع حزب الله، بين أشخاص يخاصمون الحزب إلى حد الدماء التي سالت في اشتباكات آب 2021، وبين آخرين صاروا محسوبين على الحزب وسرايا المقاومة. داخل العائلة الواحدة انقسامات جذرية، ولو كان البعض يعتبر أن المحسوبين على الحزب هم «قلّة من المنتفعين».

القريبون من الحزب يردّدون أنّ العلاقة معه هي «علاقة جيرة أولاً على اعتبار أن الشيعة موجودون في المنطقة منذ أكثر من 20 سنة. وقد حملنا السلاح ضد العدو الإسرائيلي في معركة خلدة كتفاً إلى كتف معهم»، مضيفين: «المقاومة والجيرة تجمعاننا، بغضّ النظر عن بعض الخلافات في وجهات النظر في الملفات السياسية». أما خصوم الحزب فلا يتردّدون في رد الخصومة إلى «خلافات عقائدية في الأصل، قبل أن تتطور في عام 2005 عند اغتيال الرئيس رفيق الحريري، ثم تشييد حسينيّة عند الطريق العام في خلدة». بالنسبة إلى هؤلاء، «لو اعترفت كل الدول بأنها قتلت الرئيس رفيق الحريري فإننا لا نُعفي الحزب من مسؤوليته». رغم ذلك، يأخذون على الرئيس سعد الحريري عدم إعطائهم الغطاء لمواجهة الحزب «كما غسل يديه» منهم بعد اشتباكات خلدة. ويؤكدون أن «لا شيء» يُمكن أن يعيد المياه إلى مجاريها مع الحزب. ملف الموقوفين وبلاغات البحث والتحري الصادرة بحق أكثر من 15 منهم تُعزّز الخلاف أكثر وأكثر»، ولا يتردّدون في اتهام الحزب بإقامة «مشاريع في خلدة لرصد تحركاتنا».

قضية

مرّ شهران على غرق مركب يقلّ العشرات قبالة طرابلس. خلال محاولتهم الوصول بطريقة غير شرعية إلى أوروبا. الظروف التي دفعتهم إلى التهلكة لم تتغيّر. وكذلك أداء الدولة تجاه ضحايا الكوارث المتلاحقة. ما قد يحوّل 23 نيسان من كلّ عام إلى محطة لطلب العدالة

## شهران على غرق مركب طرابلس

# الحداد مؤجّل

آمال خليل

ليس من السهل تحديد موعد مع بارعة صفوان. يومياتها مزدحمة بدوام عملها، ورعاية عائلتها، ومعاينات الأطباء و"متابعة النضال لانتشال جثتي ابنتيها من مركب الموت الغارق قبالة طرابلس". بطلوع الروح، تصل إلى منزلها الكائن على سطح مبنى قديم في الميناء. لمرات عدة في اليوم، تستخدم الدرج الطويل المنهك. لا قدرة لها على تغيير الشقة الضيقة المتواضعة التي تعيش فيها منذ 15 عاماً. أخيراً، رفع المالك رسم الإيجار إلى مليون ليرة، يزيد عن معاشها كله. سابقاً، كان الإيجار مقبولاً على الأسرة المؤلفة من شابين وفتاتين اضطروا جميعاً مع والدتهم للعمل باكراً لإعالة أنفسهم بعدما أقعد المرض والدهم حتى وفاته قبل نحو عشر سنوات.

منذ صغرها، اعتادت بارعة (49 عاماً) على "العيشة الصعبة" التي أجبرتها على إقناع أولادها بأن البحر هو الملاذ الأخير. فالقت نفسها معهم ومع خطيب إحدى ابنتيها، ناجي الفوّال في المركب الذي غرق في 23 نيسان الماضي قبالة طرابلس. بحرقة وبشيء من النّدم، تنظر إلى صورة ابنتيها سلام الجندي (31 عاماً) وشقيقتها غالية (26 سنة) المثبتة على الطاولة في صدر البيت. هي آخر ما تبقّى لها من صور بعدما تعطّل هاتفها المحمول الذي كان في جيبها عند غرقها. برغم كلفة إصلاحه، راجعت بارعة محالّ عدة أملاً باستعادة الصور والرسائل الصوتية لابنتيها. الناجية من مركب الموت لم تكترث أيضاً للتكاليف المحتملة لرفع شكوى ضد الجيش اللبناني لتسبّبه بغرق المركب. هي، وابناها مصطفى وإبراهيم وصهرها ناجي الفوال، كانوا أول الناجين وأهالي الضحايا الذين تحرّكوا باتجاه القضاء. لم يتجرأ كثر من زملائهم على مجابهة الدولة. لكن بالنسبة إلى بارعة "لم يعد لديّ ما أخسره. فقدت ابنتيّ، فمَ أخاف؟". مع ذلك، تريّث المدّعون قبل تقديم الشكوى شهرين كاملين. "انتظرنا تحرّك الدولة لانتشال أحبائنا وإعلان نتائج التحقيقات التي كانت مديرية المخابرات تقول إنها تجريها مع الجنود الذين كانوا على متن الزوارق التي طاردت مركبنا وضربته ثلاث مرات حتى أغرقته".

كأنها على كرسي الاعتراف، تستذكر بارعة التجربة من دون سؤال. قلب الأم لن يسمح لها بالنسيان. كذلك شرفة منزلها المشرفة تماماً على مرفأ طرابلس وجزرها. "ابني مصطفى لم يكن يرغب بالسفر بهذه الطريقة، برغم أنه هنا لا يملك سوى بسطة. أنا وابنتي سلام كنا خائفتين. لكنّنا حينما صعدنا إلى المركب ووجدنا بأن معظم رفاق الرحلة أطفال ونساء، هدأنا وقلنا حياتنا ليست أغلى من حياة هؤلاء الأطفال" قالت. يعزّ عليها أن تكون قد نجت فيما علقت ابنتاها في المركب الذي غرق على عمق 470 متراً. لا شيء يشعرها بالندم أكثر من هذا. "كيف أندم على رمي عائلتي في البحر بعدما اختنقنا هنا. جهاز العروس لابنتي غالية المحفوظ في (التنخيتة) منذ أن خطبت ناجي قبل ست سنوات، خرّبته الرطوبة. وافقت على السفر معنا لأنها ستتمكن من ارتداء الفستان الأبيض في أوروبا".

ناجي (30 عاماً) أيضاً لم يعد لديه ما يخسره منذ سنوات. لم تكن رحلة الموت أولى محاولاته للوصول إلى أوروبا بطريقة غير شرعية. قبل أكثر من عام، سار صانع المعجّنات، على درب شقيقه الذي نجح في الوصول إلى ألمانيا حيث صار لاجئاً. من تركيا، دخل إلى اليونان سيراً على الأقدام، منها تنقّل في أكثر من دولة حتى يجد من يقبل لجوءه. وبرغم ارتفاع حظوظه، إلا أنه عاد إلى لبنان ليصطحب خطيبته غالية. وعوض أن تتعرّض الأخيرة لعذابات جلجلة السير على الأقدام، فضّل اختصار المسافة عبر البحر. يؤكد الفوّال بأن "رحلات عدة خرجت من شواطئ الشمال قبل وبعد غرق المركب ووصلت بأمان، ما شجّع الكثيرين على التجربة". لم ينزع فكرة البحر من ذهنه، على غرار بارعة. "نحن فقط أجّلنا الخطوة حتى تحقيق العدالة لسلام وغالية والعشرات العالقين في المركب".

> ترثّث المدّعون قبل تقديم الشكوى شهرين كاملين في انتظار تحرّك الدولة

### تخفيف الإجراءات؟

رحلات السفر غير الشرعي عبر البحر لم تعد سرّية في طرابلس. حادثة المركب لم تلجم المغامرين، بل زادت حماستهم "ولا سيما مع تخفيف الجيش والقوى الأمنية لإجراءاتها المشدّدة في ضبطها، امتصاصاً للنقمة الشعبية ضدّها بعد اتهامها بالتسبب بالغرق" كما يشاع. في معرض الكتاب في الرابطة الثقافية في طرابلس، يبادر أحد الأشخاص بصوت مرتفع، إلى التعريف عن أحد الزوّار بأنه "صاحب محاولات كثيرة غير شرعية للحاق بزوجته وأطفاله في بريطانيا". على هاتفه الخاص، لا يتوانى حمزة عن نشر عبارات عن حلمه بالهجرة غير الشرعية. الشاب الذي يمضي الوقت المستقطع في صيد السمك، لم يتوقف عن تحيّن الفرصة الملائمة في رحلة بحرية مضمونة.

في باب الحديد، يتجمّع عدد من الشبان في مقهى لأخذ استراحة من حرّ الشمس قبل أن يستأنفوا التجوال بعرباتهم في سوق البالة عند نهر أبو علي. يتركز حديثهم على التحضيرات التي أنجزوها هم وأقرباؤهم للسفر نحو أوروبا بطريقة غير شرعية. مأمون (42 عاماً) لا يزال يبيع ممتلكاته، وهي أثاث منزل متواضع، وبضاعته وهي عبارة عن كمية من الأحذية المستعملة. لم يتمكن الأب لثلاثة أطفال حتى الآن من جمع المبلغ الذي تطلبه شبكات التسفير. شقيقته سبقته في بيع ممتلكاتها وتأمين المبلغ. قبلهما، لجأت ابنة عمه وعائلتها عبر البحر إلى ألمانيا. بلال صاحب المقهى، يتحضّر أيضاً. "لديّ زوجتان وستة أولاد. استأجرت مع إخوتي، المقهى قبالة بسطات سوق المستعمل حيث كان الزبائن يستريحون بالعشرات يومياً عندنا. بعد الأزمة، حتى البالة فقدت زبائنها. ومن له القدرة بأن يجلس في مقهى لشراء قنينة مياه بـ7 آلاف ليرة؟".

يتحدّث أحمد السماك عن قريبه محمد المفقود في قعر البحر، عامل النظافة، الذي قضى في المركب مع زوجتيه ولم ينجُ من أولاده سوى طفل واحد "يقيم مع جدته ولا يزال يرى كوابيس في منامه". مع ذلك، لا يلوم أحمد، العامل اليومي على بسطة في سوق البالة، من يرمي نفسه في البحر. يقطع المهووسون بحلم أوروبا الطريق على أي انتقاد عن اللجوء إلى البحر برغم خطر الموت. يدعونا مأمون إلى زيارة باب التبانة المجاورة حيث يقيم آل السماك، وإلى القبة حيث يقيم آل الدندشي (عائلتان قضى منها كثر في الحادثة) "لكي تحصلوا على مليون سبب لتكرار التجربة من تزايد السرقات إلى طوابير الخبز".

بارعة صفوان: لم يعد لديّ ما أخسره (الأخبار)

# المجلس العدلي والغوّاصة معلّقان

بعد أسبوعين على غرق المركب قبالة شواطئ طرابلس، أعلن قائد الجيش جوزف عون أن "التحقيق بدأ مع الجنود الذين كانوا على متن قارب الجيش الذي صدم مركب المهاجرين غير الشرعيين في محاولة لإيقافه". حتى الآن، بعد مرور شهرين، لم يُعلن عن نتائج التحقيقات أو أيّ تدابير اتُّخذت على ضوئها. واللافت أن العدد الدقيق للضحايا والناجين لم يُحسم بعد وقد رسا على 84 شخصاً، فُنقذ 45 منهم وعُثر على سبع جثث.

### دعوى ضد الجيش

وتداركاً لنسيان القضية، استعان كل من بارعة صفوان وصهرها ناجي الفوّال بحزب "لنا" في طرابلس لمساعدتهما على التقدّم بشكوى. أحيلا إلى المحاميين ديالا شحادة ومحمد صبلوح اللذين حشدا معهما جبهة من تسعة محامين تطوّعوا للتوكل عنهما. وفي حديث لـ"الأخبار"، لفتت شحادة إلى أننا "قدّمنا الشكوى أمام النيابة العامة التمييزية وطلبنا منها الإشراف على التحقيقات التي يجريها الجيش بإشراف النيابة العامة العسكرية، ولا سيما أنه لم يتم حتى الآن طلب السماع إلى شهادات الناجين وأهالي الضحايا.

> انتشال المركب سيشكل مفصلاً في القضية بعد الكشف الفني عليه

لكن وبخلاف رغبتنا، أحالت النيابة التمييزية الشكوى إلى القضاء العسكري الذي يغيّب الحقوق الشخصية للمدّعين، ما دفعنا إلى توجيه كتاب إلى وزارة العدل لكي تطلب من الحكومة إحالة القضية إلى المجلس العدلي".

الادّعاء طاول 13 عنصراً من الجيش بتهمة "القتل غير العمد والقتل مع القصد الاحتمالي الناجم عن ضرب المركب ثلاث مرات، ما أدى إلى إغراقه". لا تبدي شحادة تفاؤلها بمسار الدعوى بعد إحالتها إلى القضاء العسكري. "قضائياً سيكون مجحفاً بحق المدّعين، فضلاً عن التأخير في إعلان نتائج التحقيقات، الذي أعقب التأخير في التحرّك لإنقاذ الناجين". ومن عجائب الدعوى بأننا "لا نتمكن من الحصول على أي معلومة تخصّ التحقيقات. بل نستقي معلوماتنا من وسائل الإعلام".

### غوّاصة لانتشال المركب

مسار الدعوى يسير بالتوازي مع مسار استقدام غواصة لانتشال المركب والضحايا العالقين فيه. وكان النائب أشرف ريفي قد أعلن قبل نحو شهر، عن أن مجموعة من المغتربين من طرابلس في أستراليا، تبرّعت بتكاليف استئجار الغواصة ومهمتها. وبحسب ريفي، فإن الغواصة "ستنطلق من مرفأ جزيرة تنريفي كبرى جزر الكناري في 13 حزيران، وتصل إلى لبنان في 6 تموز". فما هو مصيرها؟

تواصلت "الأخبار" مع منظمة AUSRELEIEF التي تبرّعت بالتكاليف، وهي مؤلفة من تجمع أبناء المنية وطرابلس في أستراليا. لكنّ أحد ناشطي المنظمة أحمد الأيوبي الذي أكد أن المنظمة "مسؤولة عن العملية"، رفض في اتصال مع "الأخبار" تقديم معلومات مفصّلة عن مصير مهمة الغواصة. واكتفى بالقول: "عندما يتوفر لدينا موعد وصولها إلى لبنان، سوف نبلغ أهالي الضحايا". وإذ تحفّظ عن أسباب تأخير وصولها، نفى الأيوبي أن تكون الدولة اللبنانية هي السبب.

وفي هذا السياق، اعتبرت شحادة أن تأخير وصول الغواصة "تتحمل مسؤوليته الدولة التي كان عليها انتشال الجثث"، لافتة إلى أن انتشال المركب سيشكل مفصلاً في القضية بعد الكشف الفني عليه وتحديد الضربات التي تلقّاها وأدّت إلى غرقه. ومن بين الأدلة التي جمعتها لجنة المحامين، أن عدد المفقودين زاد مع لجوء النسوة والأطفال إلى غرفة المركب بعدما فاضت الأمواج على أقسامه المكشوفة إثر مطاردة الجيش، ثم علقوا في الغرفة بعد غرق المركب بدقائق قليلة.



صحة نفسية

# تداعيات الأزمة نفسية: خطر الاكتئاب على الأطفال

لوي فلحة

لدى الحديث عن تداعيات الأزمة الاقتصادية على الأطفال، تثار غالباً قضيتا الصحة والتعليم فيما تغيب الصحة النفسية عن الواجهة. غير أن انعكاسات الأزمة النفسية على الأطفال، ولا سيما الفقراء منهم، ليست هامشية لدى فئة انقلبت حياتها رأساً على عقب فجأة من دون أن تدرك أسبابها.

"مؤلم جداً أن ترى طفلاً يبكي بشدة لأن والده لم يستطع أن يشتري له لوح شوكولا، فكل ما يملكه الأب يكفي لشراء ربطة خبز واحدة". بحرقة، يروي عماد وهو صاحب مِيني ماركت هذه القصة، التي تتكرّر داخل محله بين فترة وأخرى. "الله يعين الفقير وابن الفقير، شو بدن يشتروا؟" يسأل عماد، الذي سئم من إعادة عبارة "عمّو، مصريات ما بكفوا" لزبائنه من الأطفال الذين باتوا يواجهون صعوبة في شراء بعض حاجاتهم من الشوكولا والسكاكر وبطاطا التشيبس، بعدما ارتفعت أسعارها بشكل كبير، حتى "البونجيسة" التي كانت "مضرب مثل" نسبة إلى صمود سعرها على الـ 250 ليرة لسنوات طويلة، بات ثمنها حالياً 5000 ليرة.

### صيفية منزلية

في السابق، كان الأهل يبحثون عن وسائل مختلفة للترفيه عن أولادهم خلال إجازة الصيف. حالياً، مجرد التفكير في الأمر، بات أمراً مزعجاً لهم. زيارة المطاعم وصالات السينما والمسارح والمسابح لم تعد طقساً عادياً بالنسبة إلى كثير من العائلات اللبنانية، بل صارت أمراً يصعب تحمّل تكاليفه. البحر، والذي كان من المفترض أن يكون المتنفس الأول للبنانيين، أصبح ممنوعاً على الفقراء بعدما تحوّل بأغلبه إلى أملاك خاصة، أما الشواطئ المجانية، فكثير منها غير صالحة للسباحة نتيجة تلوّث مياهها. حتى النوادي والملاعب الرياضية بات الاشتراك فيها واستئجارها مهمة غير يسيرة للعديد من الأولاد نتيجة ارتفاع أسعار الاشتراكات.

هذا العام، وعلى عكس الأعوام السابقة، لم ترسل سوسن ولديها إلى أكاديمية مخصّصة لكرة القدم، بعدما اشترطت الأخيرة دفع رسوم التسجيل بالدولار أو ما يعادلها على سعر الصرف. "بس شوف ولاد الجيران لابسين تياب الفوتبول ورايحين عالأكاديمية بيتقطع قلبي وأنا مش قادرة سجّل ولادي"، تقول سوسن، التي لم تعد تعارض كثيراً خروج ولديها للعب في الشارع المقابل لمنزلها بعدما كان هذا الأمر ممنوعاً عليهما سابقاً. تقول بحسرة: "مش معقول يضلن مزروبين بالبيت كل الوقت، الله يعين الولاد بهالزمن الصعب". قلّة الحدائق العامة وانعدام المساحات الخضراء الواسعة وخصوصاً في بيروت وضواحيها يزيدان من صعوبة الترفيه عن الجيل الجديد، ما يجعل من الشوارع أماكن لهوهم ولعبهم رغم ما يحمله هذا الأمر من خطر على سلامتهم العامة.

### مواجهة مبكرة

مشاهدة الأطفال لمعاناة أهلهم اليومية من أجل تأمين الحاجات الأساسية، بالإضافة إلى تراجع مستوى معيشتهم وتقلّص وسائل ترفيههم، أمور لها انعكاسات نفسية سلبية على الأطفال بحسب الاختصاصي النفسي الدكتور نبيل الخوري، الذي يشير إلى أن أطفال اليوم معرّضون بدرجة كبيرة للاكتئاب ونوبات القلق نظراً إلى ما يواجهونه من ضغوطات وصعوبات. ورغم أنه يفترض بهم أن يعيشوا طفولتهم وأن يتحضّروا بهدوء لمواجهة تحديات المستقبل، فإذا بهم يواجهون هذه التحديات بشكل مبكر.

> خشية من أن تحوّل الأزمة أطفال اليوم إلى جيل هاجسه جمع المال

يذكر الخوري أن التفاوت الطبقي الحاصل حالياً ستكون له انعكاسات عديدة مستقبلاً، لأن الأطفال يعملون وفق قاعدة المقارنة والمقارنة، وبالتالي رؤية رفاقهم يتمتعون بأمور هم محرومون منها، ستزيد لديهم من مشاعر الحقد والغيرة، وهذا ما سينعكس سلباً على سلوكهم المستقبلي. ما يخشاه خوري أن تحوّل الأزمة الاقتصادية أطفال اليوم إلى جيل هاجسه الأول والأوحد جمع المال، فالمحروم من الشيء سيسعى بشتى الأساليب إلى تعويض حرمانه ولو كان ذلك أحياناً من خلال تصرّفات خاطئة تناقض القيم والأخلاق. انطلاقاً من هذه المعطيات، يطالب خوري بإيلاء الإرشاد النفسي داخل المدارس أولوية قصوى خلال هذه الظروف الصعبة، ومعالجة الحالات النفسية للطلاب قبل أن تسوء أكثر، وتشجيعهم على التعبير عن مشكلاتهم والإفصاح عن مكنوناتهم الداخلية.

## استراحة

### كلمات متقاطعة 4060

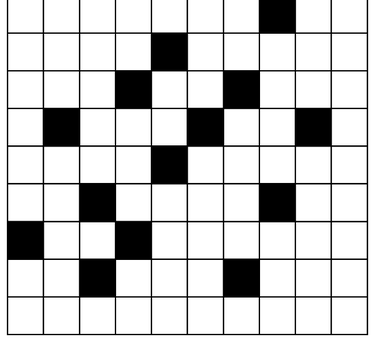

**أفقيا**

1- مدينة مصرية – 2- بحر – لاعب كرة قدم برازيلي معتزل – 3- عاصمة أوروبية – أرخبيل في أوقيانيا حول خط الإستواء يتبع كيريباتي – 4- دول – عبودية – سوّر الحديقة – 5- نعم بالأجنبية – أزال أثر الطبشور – 6- آثار جامعة بوذية في الهند – مدينة فلسطينية – 7- والد – معالم سياحية – يبس الخبز – 8- فيلم قديم لأم كلثوم – للتاوه – 9- طعام المسافر – من الحيوانات – يجري في العروق – 10- ملك إنكليزي إنفصل عن الفاتيكان

**عمودياً**

1- رئيس دولة جورجي راحل – 2- عظام بالية – دولة عربية – 3- خلاف شمال – عائلة مهندس فرنسي أول من صنع آلة طار بها عام 1890 – 4- أقرع الجرس – آلة السكّاف – 5- نهر فرنسي – عاصمة أوروبية – 6- تنشقّ – مدينة إيرانية – من فقد زوجته – 7- جامعة أميركية – يستخرج من الصخر – ثوب بال – 8- منطقة قديمة في آسيا قامت فيها الدعوة العبّاسية وكان من أقطابها أبو مسلم الخراساني – 9- أحرف متشابهة – ينهار البناء – 10- مستشار زنوبيا – حرف جر

### حلول الشبكة السابقة

**أفقيا**

1- نظارة – عروش – 2- صنين – سكودا – 3- يرقان – 4- أنين – قول – 5- امي – كي – 6- أكدار – مارش – 7- كارلستاد – 8- رب – متمم – اب – 9- أراه – مهل – 10- دير الزور

**عمودياً**

1- نص – الأكراد – 2- ظنون – كابري – 3- اي – يندر – آر – 4- رنين – المها – 5- ارست – 6- سقيم – تموز – 7- عكا – يمام – 8- رونق – اد – مر – 9- ود – وكر – اه – 10- شارلي شابلن

### sudoku 4060

| | | | | | | | | |
|---|---|---|---|---|---|---|---|---|
| | 5 | 2 | 6 | | 1 | | 3 | 7 |
| | | 3 | | | | | | |
| 1 | | 4 | 3 | | 7 | | | 8 |
| | 4 | | | 7 | | 2 | | 3 |
| | 1 | | | | | 5 | | |
| 2 | | 6 | | 5 | | 7 | | |
| 6 | | | | | 4 | 1 | | 2 |
| | | | | 3 | | 7 | | |
| | 7 | | 2 | | 6 | 3 | 4 | |

### شروط اللعبة

هذه الشبكة مكوّنة من 9 مربعات كبيرة وكل مربع كبير مقسّم إلى 9 خانات صغيرة. من شروط اللعبة وضع الأرقام من 1 إلى 9 ضمن الخانات بحيث لا يتكرر الرقم في كل مربع كبير وفي كل خط أفقي أو عمودي.

### حل الشبكة 4059

| | | | | | | | | |
|---|---|---|---|---|---|---|---|---|
| 9 | 8 | 2 | 5 | 4 | 1 | 3 | 7 | 6 |
| 7 | 3 | 4 | 8 | 9 | 6 | 5 | 1 | 2 |
| 1 | 6 | 5 | 3 | 7 | 2 | 4 | 9 | 8 |
| 5 | 9 | 6 | 2 | 3 | 7 | 1 | 8 | 4 |
| 2 | 7 | 8 | 4 | 1 | 5 | 9 | 6 | 3 |
| 4 | 1 | 3 | 6 | 8 | 9 | 7 | 2 | 5 |
| 8 | 5 | 7 | 9 | 2 | 4 | 6 | 3 | 1 |
| 3 | 4 | 1 | 7 | 6 | 8 | 2 | 5 | 9 |
| 6 | 2 | 9 | 1 | 5 | 3 | 8 | 4 | 7 |

### مشاهير 4060

| 11 | 10 | 9 | 8 | 7 | 6 | 5 | 4 | 3 | 2 | 1 |
|---|---|---|---|---|---|---|---|---|---|---|
| | | | | | | | | | | |

شاعر لبناني كتب عن شعره عدد من النقاد. يعدّ من رواد كتابة الشعر السريالي في لبنان. أصدر مجموعات شعرية منها « أكياس الفقراء »

6+10+6 = إحاص برّي صغير ■ 9+2+3+7 = يعرّض اللحم للنار ■ 8+5+11+10 = أوّهاً

إعداد نعوم مسعود

حل الشبكة الماضية: برنار جيرودو

# صعود أنجم محمد بن سلمان 9

أسعد أبو خليل *

يمرّ محمد بن سلمان بأفضل مرحلة من تاريخ حكمه. زعماء العالم يتقاطرون نحوه ويطلبون ودّه. والرئيس الأميركي سيأتي في زيارة تقديم الطاعة والولاء بصورة مُذلّة—للرئيس الأميركي نفسه. كان الرجل (أي محمد بن سلمان) قبل بضع سنوات فقط منبوذاً من دول الغرب باستثناء ماكرون (لأن فرنسا بيسارها الاشتراكي ويمينها من أحرص دول الغرب على رعاية الطغيان السعودي والإماراتي. الثورة الفرنسية لم تعد إلا براميل نفط وصفقات سلاح). محمد بن سلمان نفسه لم يكن يحلم بقدوم هذه اللحظة. بات ضامناً للغطاء الغربي لصعوده على العرش. يأمن اليوم لو مات أبوه أن يصعد إلى العرش ويحظى بتأييد ما يسمّيه اللوبي الإسرائيلي اصطلاحاً بـ«المجتمع الدولي». كيف دارت الدوائر وأصبح الرجل المنبوذ الممنوع من زيارة عواصم الغرب—بحكم الرفض الشعبي له—زعيماً مطلوباً من دول الغرب؟ كيف تمّ نسيان جريمة قال الغرب عنها بأنها لا تُغتفر؟

محمد بن سلمان لم يكن يوماً أميراً عادياً في الحكم السعودي. هو كان منذ انطلاقته من نسق جديد لم نعهده في تاريخ آل سعود. الحكم في المملكة كان نتيجة مفاوضات وتسويات وحسابات دقيقة، في داخل العائلة المالكة وفي خارجها، بين القبائل والحكم وبين القبائل ورجال الدين وبين العائلة والمُستعبَدين الرعاة. لكن محمد بن سلمان قرّر أن يقضي على الفصائل والأجنحة في داخل العائلة المالكة، وبالتدريج. جفّف كل مصادر «مجتهد» الذي أصبح عاطلاً عن العمل. وفاة الملك المؤسّس، حسابات دقيقة دخلت في صعود الملك فيصل وتشكيل جناح السديريّين بالتحالف مع أجنحة أخرى. وكل أمير نافذ شكّل جناحاً بحدّ ذاته من أولاد المؤسّس وإن اختار بعضهم الابتعاد، مثل محمد بن عبد العزيز أو الملك خالد الذي سمح لنائبه فهد بالحكم فيما هو انصرف لشؤون العبادة والورع. محمد بن سلمان حكمَ ويحكم المملكة على طريقة المُستبدّ الحديث، كما في الأنظمة العسكريّة في بلادنا أو في بلاد بعيدة. يُحسب لهُ أنه قرّر نبذ كل الأعراف والتقاليد في المملكة كي يستقيم له الحكم وحيداً ومتفرّداً. وهذا قد يكون طريقه للديمومة في الحكم أو للحكم لمرحلة وجيزة. المرحلة المقبلة القصيرة ستقرّر أجله.

هناك نقاش دار في الصحافة الغربيّة قبل أن يقرّر بايدن زيارة المملكة. إعلام الحرب الأميركيّة (وكل الإعلام الغربي هو أداة في يد آلة الحرب، وهو وسيلة نقل بروباغندا أجهزة الاستخبارات التي تمدّ الصحافة بكمّ من التسريبات التي تضمن الطاعة والولاء منهم. ليس هناك من فوارق وتمايز في الإعلام الغربي، وأزمة أوكرانيا أثبتت لمَن ساورته شكوك أن الإعلام الغربي وحدة متراصّة وأن وجهة النظر الأخرى ليست في صحافة ليبراليّة أو محافظة بل في إعلام التيّارات السياسيّة التي هي خارج المروحة المقبولة: أي أقصى اليسار وأقصى اليمين). النقاش هنا كان حول ضرورة مصالحة بايدن مع النظامين السعودي والإماراتي. والنظامان لهما حظوة كبيرة في واشنطن ليس فقط بسبب الرعاية المادية للإعلاميّين البارزين في المدينة—على طريقة آخر سفير للشاه الذي كان يولم للإعلاميّين البارزين ويسبغ عليهم الهدايا النفيسة—بل لأن للنظامين دوراً نافذاً في مراكز الأبحاث خصوصاً تلك التي تتعامل مع مواضيع السياسة في الشرق الأوسط. وكل الإعلاميّين يريدون فرصة الحصول على زمالة سنة أو أكثر في مراكز الأبحاث إمّا لتأليف كتاب (غالباً يكون ذا قيمة متدنية مثل كتاب كيم غطّاس الأخير أو كتاب جنيف عبده أو كتاب شادي حميد) أو لكتابة بعض مقالات في الصحافة والظهور على الشاشات في دعاية للمركز الراعي. هكذا تعمل واشنطن على طريقة الإفساد المتبادل بين السفارات السخيّة ومراكز الأبحاث وبين الصحافة والمراكز وبين الحكومة والإعلاميّين المُطيعين.

الضغط على بايدن لتغيير وجهة السياسة نحو السعوديّة والإمارات تفجّر بعد إحجام النظام الإماراتي عن التصويت لقرار في مجلس الأمن ضد روسيا. هذه كانت من الكبائر واعتبر إعلام الإمبراطوريّة الحربيّة أن العلّة ليست في سلوك النظام الإماراتي المُستبدّ بل في سياسات أميركا التي لا ترعى الحلفاء بما فيه الكفاية، وأن إيلاء مسائل حقوق الإنسان يتعارض مع المبادئ الأساسيّة للواقعية في السياسة الدوليّة. والواقعيّة (الكلاسيكيّة أو الهجوميّة) في السياسة الدولية لا تزال هي الأمرة في السياسة الخارجيّة لأميركا منذ الحرب العالميّة الثانيّة (قبل ذلك كانت الواقعية عاملة لكن مع اختلاف التوجّه حسب المنطقة من العالم).

وهناك حاجة إلى تعديل دراستنا لدور الرئيس في صنع السياسة الخارجيّة. بعد الحرب العالميّة الثانية، وبروز دور فرانكلن روزفلت في إدارة السياسة الخارجيّة بقليل من المشورة مع الكونغرس، نتجت أدبيّات عن دور الرئيس الأميركي لخّصهُ المؤرّخ أرثر شلسنجر في كتاب «الرئاسة الإمبراطورية» وحاجّ فيه أن الرئيس يفضّل التعامل مع السياسة الخارجيّة لأنه يستطيع—خلافاً لتعاطيه مع السياسة الداخليّة—أن يعطّل أدوار الكونغرس والرأي العام والصحافة لقلّة متابعة مواضيع السياسة الخارجيّة من قبل العامّة. تحدّث أرون ولدفسكي، الأكاديمي الراحل في جامعة كاليفورنيا في بيركلي، عن «رئاستيْن»: واحدة في مضمار السياسة الخارجيّة ويكون فيها الرئيس قويّاً وأخرى داخليّة يكون فيها الرئيس ضعيفاً، لأن الكونغرس والإعلام والرأي العام لهم آراء يقينيّة في تلك المواضيع. لكن عهد الحروب الأميركيّة، خصوصاً بعد انهيار الاتحاد السوفياتي، أسّس لبروز إمبراطوريّة حربيّة أكبر من الرئيس ودوره الإمبراطوري المفترض. ليس عابراً أن الرئيس أوباما وترامب حاولا أن يسحبا القوّات الأميركيّة من أفغانستان وفشلا فشلاً ذريعاً بسبب حجم اعتراض المؤسّسة العسكريّة والاستخباراتيّة في البلاد (والإعلام كعادته ماشى مواقف الجهاز الحربي). صحيح أن بايدن سحب بالفعل القوّات الأميركيّة لكن قراره قوبل بحملة فظيعة في الإعلام والكونغرس وحتى الرأي العام المُنجذب لآراء النخبة في السياسة الخارجيّة. السياسة لم تعد في عصر الإمبراطوريّة الحربيّة حكراً على الرئاسة بل هي انتقلت بقوّة إلى النخبة العسكرية والاستخباراتيّة الحاكمة ومعها يندرج الكونغرس والنخبة الإعلاميّة المتماثلة. تخيّل وتخيّلي أن الكونغرس يزيد في رصد ميزانيّة الدفاع عندما يتقدّم البنتاغون بطلب ميزانيّة ما. يعلم الكونغرس أن لا حدود سياسيّة منفعيّة في مردود تلبية طلبات البنتاغون والاستخبارات.

بايدن فاز بسبب تأييد القطاع الليبرالي النافذ في الحزب الديموقراطي. وهذا القطاع أجبره على انتهاج مواقف جذريّة في السياسة الخارجيّة نحو الخليج بالنسبة إلى سياسي موغل في التقليديّة في السياسة الخارجيّة. هو قال أثناء حملته إنه لا يرى جانباً إيجابيّاً في شخص محمد بن سلمان وإن المملكة يجب أن تكون منبوذة. هذه المواقف، زاد عليها بعد انتخابه برفضه التحادث هاتفيّاً مع محمد بن سلمان وإصراره على عدم تواجده في المحادثات مع والده (طبعاً الطلب ساذج لأنه لا يمكن لبايدن عن بُعد التأكد من خروج محمد بن سلمان من غرفة أو مكتب أبيه). ومقتل الخاشقجي شكّل حملة إعلاميّة واشنطونيّة معارضة للتعامل مع السعوديّة. لكن هناك إسرائيل وهي تستطيع أن تؤثّر على الكونغرس والإعلام والبيت الأبيض. اللوبي الإسرائيلي بات يعبّر ليس عن مصالح إسرائيل فقط بل عن مصالح السعودية والإمارات والتنسيق بين الأطراف الثلاثة كبير، وكان السفير الإماراتي يوسف العتيبة من طابخي هذا التنسيق. لكن ما الذي دفع بايدن لتغيير وجهة سياسته نحو محمد بن سلمان؟

> **محمد بن سلمان حلّ بهذه اللحظة منذ اغتيال الخاشقجي، أن ينسى العالم حوله الجريمة التي هي من إنجازات الحاكم السعودي**

> **مخطئ من يختزل أسباب انبطاح بايدن لمحمد بن سلمان ومحمد بن زايد بالحاجة إلى إنتاج الطاقة لتخفيض أسعار النفط في أميركا**

أولاً، الهوس بالحرب الأوكرانيّة وضرورة الانتصار على روسيا أصبح أولويّة السياسة الخارجيّة. هذا الإنفاق والتسليح بالمليارات لا بدّ أنهما أثارا شهيّة الدولة التي لا تشبع من المساعدات والأسلحة الأميركيّة. والحرب الأوكرانيّة أصبحت مثل الحرب الباردة: مجمعٌ عليها في الدولة والمجتمع بين الناس (والسقوط الذريع في هذه الحرب كان للبريطانيّين واليساريّين في الكونغرس الذين ساروا بلا مساءلة مع إمبراطوريّة الحرب. وحدها مجموعة صغيرة من الجمهوريّين الليبرتاريّين شذّوا عن الإجماع وتعرّضوا—طبعاً للتخوين). إسرائيل تريد توحيد صف حلفاء الصهيونيّة في العالم العربي للتحضير لحروب مستقبليّة وضمان دعم غربي قوي كما ظهر في أوكرانيا.

(أ ف ب)

ثانياً، مسيرة اتفاقات ابراهام لم تتوقّف منذ إطلاقها في آخر عهد ترامب (وشارك لبنان فيها بإعلان قرار المفاوضات في الناقورة مع «حكومة إسرائيل» كما جاء على لسان نبيه برّي، قائد الحركة التي تعتبر إسرائيل «شرّاً مطلقاً»). وبايدن، عندما اعترف أمام الصحافة بأنه بالفعل سيعاكس ما كان قد وعد به (أثناء الحملة الانتخابيّة) من عداء نحو النظام السعودي وإصرار على معاقبة محمد بن سلمان، ذكر مصلحة إسرائيل وضرورة السلام بينها وبين العرب كحجّة (صفيقة). وحجّة خدمة مصالح إسرائيل فعّالة في السياسة الأميركيّة لأنها تُسكت المعترضين الجمهوريّين والديموقراطيّين على حد سواء. أميركا تحضّر لجبهة أمن قومي إسرائيلي في الشرق الأوسط. دول الخليج، بعد أن أنفقت المليارات على شراء السلاح الذي هو بمثابة خوّة تدفعها لدول الغرب كي تتكفّل بحمايتها (هي المقايضة الشهيرة التي كان ترامب صريحاً عنها)، ستلزّم إسرائيل الدفاع عن انظمتها. محمد بن سلمان اعترف قبل أشهر أنه لا يعتبر إسرائيل عدوّاً بل هي حليف («محتمل»). وحكومة العدوّ اعترفت أنها تنسّق عسكرياً واستخباراتيّاً مع الدول العربيّة لحماية مصالحها المشتركة مع أنظمة الخليج. ويعلم محمد بن سلمان أن ثمن الحصول على اعتراف أميركي بشرعية صعوده إلى العرش—الشرعيّة الأميركيّة وليس السعوديّة—سيتضمّن السلام مع العدوّ لكن ليس على أساس صيغة «الأرض-مقابل-السلام»، كما في مشروع السلام العربي الذي رفضته إسرائيل، بل على أساس السلام مقابل لا شيء على الإطلاق. الدول العربيّة باعت القضية الفلسطينيّة التي لم تكن يوماً جدّية في الدفاع عن مصالحها. اتفاقات ابراهام ألغت جامعة الدول العربيّة والسعوديّة تعمل كي يصبح النموذج الإماراتي في التحالف مع إسرائيل هو نموذج التطبيع الوحيد.

سعت السعوديّة وأميركا كي يتغيّر نمط التطبيع الجاري في الأردن ومصر، حيث التطبيع يقتصر على المستوى الرسمي. والسيسي حصل على تغطية غربيّة على استبداده مقابل المزيد من التقرّب لإسرائيل والمزيد من حصار غزّة والمقاومة الفلسطينيّة. وزيارة محمد بن سلمان للأردن كانت بنفس المسار. الشعب في الأردن يرفض التطبيع بصورة قاطعة لكنّ النظام الرسمي الخليجي سيضغط على الأردن أكثر: لم تمنح السعوديّة مساعدات للأردن منذ عام 2018. والسعودية كانت ضالعة في محاولة الانقلاب (التي أدارها، بصبيانيّة وخفّة، الأمير حمزة) لكنها تريد التطبيع مع النظام مقابل شيء غير ملموس: لم يُعلن عن مساعدات أو استثمارات سعوديّة في الأردن كما حصل بعد زيارة محمد بن سلمان لمصر. الأردن بات معزولاً في الإقليم: بين النظام السوري المنتمي إلى فريق الممانعة وبين النظام المصري الغارق في التطبيع على النمط الإماراتي، فيما تحاول إسرائيل نزع صلاحية النظام الأردني في الوصاية على الأقصى، لصالح النظام السعودي نفسه في صفقة مستقبليّة يمكن أن يستفيد منها محمد بن سلمان عندما يُجاهر بالتطبيع الواضح (البيان السعودي-الأردني الرسمي كرّر عناوين جريدة «عكاظ»).

ثالثاً، يريد جو بايدن وإدارة الحرب الأميركيّة محاصرة إيران أكثر. المفاوضات النوويّة متعثّرة لأن بايدن—كما في مواضيع أخرى—نكث بوعوده في الحملة الانتخابيّة. تريد أميركا المزيد من التنازلات من إيران، غير تلك التي نصّ عليها الاتفاق النووي في عام 2015. وبايدن لم يحاول حتى أن يزيل العقوبات الإضافيّة التي فرضتها إدارة ترامب. وإيران في حيرة من أمرها: هل توقّع على اتفاق يتطلّب منها المزيد من التنازلات مع إمكانيّة خرق الاتفاق، مرّة أخرى، في حال وصل رئيس جمهوري إلى البيت الأبيض، أم هي تمتنع عن التوقيع وتستمرّ في التعامل الذكي (نسبيّاً) مع نتائج الحصار؟

محمد بن سلمان حلمَ بهذه اللحظة منذ اغتيال الخاشقجي، أن ينسى العالم حوله الجريمة (وجريمة قتل الخاشقجي ليست أسوأ جرائم النظام السعودي الذي لم يتورّع عن خطف وتعذيب سعد الحريري والذي كان يعدّ للمزيد من المغامرات قبل أن تتعثّر كل مغامرات الأمير المتهوّر في اليمن وفي القنصليّة في إسطنبول) التي هي من إنجازات الحاكم السعودي. هو حصل على زحف تركي نحو السعودية. وغالباً أو دائماً: المراوحة في الصيغة السياسية الراهنة مع بعض الرتوش البسيط!

لقد بُني نظام الحكم، من قِبل الانتداب الفرنسي، على قاعدة تقسيم الدول طائفياً ومذهبياً أو إقامة السلطة فيها على هذا الأساس («الكوتا» الطائفية). وهو أمر لم يقتصر على لبنان وحده، بل شمل أيضاً الشقيقة سوريا وسواها. كان الاستعمار الإنكليزي سباقاً في هذا المضمار. هذا النهج ما زال معتمداً، من قبل الاستعمار الجديد، على أوسع نطاق: طلباً وتعزيزاً للانقسام والتفتيت والإضعاف... وتسهيلاً للسيطرة والهيمنة.

لقد استند المستعمرون وأتباعهم في لبنان، منذ السلطنة العثمانية، إلى تراث كرّسوه وغذّوه، حتى بات حصيناً ومنيعاً. هم رعوا لبنان المتعدّد والمتنوّع، طائفياً ومذهبياً، عبر نخب وقوى حوّلت هذه المعادلة، و«الصيغة» التي نجمت عنها، إلى «نظام سياسي فريد من نوعه»، كما روج ميشال شيحا، وإلى صيغة «غير قابلة للتغيير» كما كرّر كثيرون من بعده وصولاً إلى معادلة: «لا وجود للدولة من دون الطوائف ولا وجود للطوائف من دون الدولة». أي أن وجود الطوائف رهن بوجود الدولة كما يؤكد مهدي عامل: فهي بالدولة تصبح مؤسسات، مؤسسات الدولة أي «أجهزة أيديولوجية» لها على حد تعبير التوسير (مهدي عامل «في الدولة الطائفية»، ص 17).

هذه المعادلة ما زالت قائمة منذ الانتداب والاستقلال إلى يومنا هذا. تعرضت لاهتزاز عام 1958. عاندها الرئيس فؤاد شهاب، بإصلاحات إدارية، إلى أن تغلبت عليه لاحقاً. أُسقطت كل المحاولات الإصلاحية التي تجرّأت عليها جزئياً، كمحاولة الوزراء إميل البيطار وجورج فرام، وبمعنى ما، شربل نحّاس وبشارة مرهج (كل الوزراء المذكورين أقيلوا!). كانت في نجاحاتها تلك تتعزّز وتتكرس وتتوسع، خصوصاً بعد إسقاط البنود الإصلاحية في اتفاق الطائف لعام 1989.

وأهمها بند تحرير التمثيل النيابي، والإدارة عموماً، من القيد الطائفي (بالمناسبة، ما الذي يجبر النقابات المهنية على أن تعتمد القيد الطائفي من دون نصوص ملزمة وفي ظل تشريع دستوري بإلغاء الطائفية، من كل الفئات وفي كل الأسلاك، باستثناء الفئة الأولى مؤقتاً)! انبنت على هذا الواقع منظومة متكاملة متعاظمة من المحاصصة وتسخير الدولة ومؤسساتها ونهب موازنتها ومواردها، اقتراناً بفساد مذهل، وغياب مدهش للمساءلة وللمحاسبة. قاد ذلك إلى الكارثة الراهنة حيث تمّ تفليس البلد وناسه ودفعه إلى أسوأ الاحتمالات والمصائر، وبشكل خاص إلى تغذية واستغلال وقع لأزمته من قبل قوى خارجية بغرض فرض سياسات وعلاقات ومواقف على حساب سيادته ووحدته ومصالحه وحقوقه ووجوده!

هنا يكمن جوهر الخلل الذي استشرى حتى بلغ هذا المستوى التدميري والإفقاري للبنان وشعبه، وهو مستوى غير مسبوق في تاريخ الأنظمة والدول. من هنا ينبغي أن يبدأ الإصلاح. ومن هنا، حكماً، ينبغي أن تنطلق المحاولات الرامية إلى تحقيقه، كلياً أو جزئياً، فوراً أو تدريجاً. الواقع أن النص الدستوري المقر في «الطائف»، كأحد استنتاجات الحرب الأهلية الدامية والمديدة بين عامي 1975-1990، هو الذي يمكن، أو ينبغي، الانطلاق منه. لا بدّ، لهذا الغرض، من تسريع ذلك للسيطرة على الأزمة ولتعويض ما فات من المماطلة والتعطيل. معروف أن مسار الإصلاحات كان ينبغي أن يبدأ، دستورياً، مع انتخاب أول مجلس نيابي على أساس «المناصفة»، أي مجلس عام 1992. وكان ينبغي أن ينجز، ضمناً، عام 1996 ليكون المجلس النيابي الجديد منتخباً وفق معايير جديد متحرر من القيد الطائفي بالاقتران مع استحداث «مجلس شيوخ» محدود ومحصور الصلاحيات لمعالجة الهواجس الطائفية.

ما حصل العكس تماماً. في قانون الانتخاب الحالي، المعتمد أيضاً منذ انتخابات عام 2018، بعد تمديد تعسفي لخمس سنوات، جرى تكريس الطائفية بالصوت التفضيلي المحصور في القضاء بعد أن كاد أن يُفرض، وفق الصيغة «الأرثوذكسية»، صوت مذهبي صافٍ!

نقطة الضعف أو الخطأ أو الخلل في الاقتراحات الإصلاحية البديلة أنها لم تنطلق من هذه النقطة. لقد كان الأحرى بالقوى الوطنية التغييرية، القديمة أو التقليدية، ذات التجارب والخبرة والتاريخ، أن تبادر إلى عمل جبهوي إصلاحي بعد تفشي الكارثة واستعصاء الحلول، أو حتى قبل الوصول إلى ذلك. هي لم تفعل وفوتت فرصة ودوراً تاريخيين. هي في ضوء ضراوة الأزمة، امتنعت، في الواقع، عن النهوض بمسؤولية وطنية وأخلاقية وإنقاذية هائلة. كذلك فإن القوى الجديدة، التغييرية الناشئة، لم تول هذه المسألة ما تستحق من عناية وبلورة وأولوية. طرحها ضبابي يركّز على السلوك أكثر مما يركّز على النهج، وعلى الممارسة أكثر من تركيزه على النظام السياسي. لذلك كان سهلاً اختراق صفوفها واستغلال تحركها وإغراقه بطرح بديل من نوع التركيز على سلاح المقاومة ومسؤولية هذا السلاح عن الأزمة عوضاً عن التركيز على النظام التحاصصي الطائفي التابع والمتفلت من المسؤولية والعقاب عمّا ارتكبه من جرائم إفلاس الدولة ونهبها وسرقة وإفقار اللبنانيين.

ليس خافياً أن نتائج الانتخابات الأخيرة قد ضاعفت الحيرة والضياع، وأيضاً محاولات البحث عن الحلول من خلال الفرز الذي أسفرت عنه الانتخابات في اصطفافات أطرافها وكتلها أو عدم اصطفافهم. إن ثمّة فرزاً جديداً ينبغي أن ينشأ على أساس متين وواضح من النضال لإسقاط الصيغة الطائفية لمصلحة نظام مدني: بمواطنة متساوية ودستور نافذ ونظام انتخابي عصري متحرر من القيد الطائفي وعلاقات تحكمها المساءلة والكفاءة لا سواهما من الآفات والعاهات والخزعبلات الشائعة!

باعتماد الطائفية ومنظومتها التحاصصية انهار لبنان وأُذل وأُفقر وتشرد شعبه. انتصار أطراف السلطة في الانتخابات الذي هو أحد ثمار ضعف البديل، لا يعني سوى المضي نحو قعر الهاوية والخسارة. لقد سقطت مقولة: «يكون لبنان طائفياً أو لا يكون»! لقد سقط لبنان الطائفي سقوطاً مدوياً. لبنان الجديد ينهض، فقط، من خلال دولة مواطنة مدنية متحررة (بثمن مخيف) من الهيمنة على مقدرات البلد ومصالح ومصائر شعبه من قِبل حفنة من تجار الطوائف والمذاهب!

* كاتب وسياسي لبناني



# الإصلاح السياسي مدخل كل إصلاح حقيقي

سعد الله مزرعاني *

مبتدأ الكلام، خصوصاً في الشأن اللبناني، أن الإصلاح السياسي هو الممر الإجباري لكل إصلاح. مناسبة ذلك، على سبيل التأكيد، هي محاولات متواصلة، تكاثرت، منذ اندلاع الأزمة الطاحنة قبل أربع سنوات، بحثاً عن مشاريع حلول لهذه الأزمة التي أصابت بأضرار فادحة ومدمرة ومتفاقمة حوالي 95% من الشعب اللبناني المقيم وجزءاً كبيراً من المغترب. السمة العامة لمعظم المشاريع المسماة إصلاحية، هي الاجتزاء، والاضطراب في الأولويات: ما بين «البيئة» و«محاربة الفساد» والإجراءات الاقتصادية أو النقدية أو المالية، أو حتى الأمنية أو التقسيمية... وغالباً أو دائماً: المراوحة في الصيغة السياسية الراهنة مع بعض الرتوش البسيط!

لقد بُني نظام الحكم، من قِبل الانتداب الفرنسي، على قاعدة تقسيم الدول طائفياً ومذهبياً أو إقامة السلطة فيها على هذا الأساس («الكوتا» الطائفية). وهو أمر لم يقتصر على لبنان وحده، بل شمل أيضاً الشقيقة سوريا وسواها. كان الاستعمار الإنكليزي سباقاً في هذا المضمار. هذا النهج ما زال معتمداً، من قبل الاستعمار الجديد، على أوسع نطاق: طلباً وتعزيزاً للانقسام والتفتيت والإضعاف... وتسهيلاً للسيطرة والهيمنة.

لقد استند المستعمرون وأتباعهم في لبنان، منذ السلطنة العثمانية، إلى تراث كرّسوه وغذّوه، حتى بات حصيناً ومنيعاً. هم رعوا لبنان المتعدّد والمتنوّع، طائفياً ومذهبياً، عبر نخب وقوى حوّلت هذه المعادلة، و«الصيغة» التي نجمت عنها، إلى «نظام سياسي فريد من نوع»، كما روج ميشال شيحا، وإلى صيغة «غير قابلة للتغيير» كما كرّر كثيرون من بعده وصولاً إلى معادلة: «لا وجود للدولة من دون الطوائف ولا وجود للطوائف من دون الدولة». أي أن وجود الطوائف رهن بوجود الدولة كما يؤكد مهدي عامل: فهي بالدولة تصبح مؤسسات، مؤسسات الدولة أي «أجهزة أيديولوجية» لها على حد تعبير التوسير (مهدي عامل «في الدولة الطائفية»، ص 17).

هذه المعادلة ما زالت قائمة منذ الانتداب والاستقلال إلى يومنا هذا. تعرضت لاهتزاز عام 1958. عاندها الرئيس فؤاد شهاب، بإصلاحات إدارية، إلى أن تغلبت عليه لاحقاً. أُسقطت كل المحاولات الإصلاحية التي تجرّأت عليها جزئياً، كمحاولة الوزراء إميل البيطار وجورج فرام، وبمعنى ما، شربل نحّاس وبشارة مرهج (كل الوزراء المذكورين أقيلوا!). كانت في نجاحاتها تلك تتعزّز وتتكرس وتتوسع، خصوصاً بعد إسقاط البنود الإصلاحية في اتفاق الطائف لعام 1989.

وأهمها بند تحرير التمثيل النيابي، والإدارة عموماً، من القيد الطائفي (بالمناسبة، ما الذي يجبر النقابات المهنية على أن تعتمد القيد الطائفي من دون نصوص ملزمة وفي ظل تشريع دستوري بإلغاء الطائفية، من كل الفئات وفي كل الأسلاك، باستثناء الفئة الأولى مؤقتاً)! انبنت على هذا الواقع منظومة متكاملة متعاظمة من المحاصصة وتسخير الدولة ومؤسساتها ونهب موازنتها ومواردها، اقتراناً بفساد مذهل، وغياب مدهش للمساءلة وللمحاسبة. قاد ذلك إلى الكارثة الراهنة حيث تمّ تفليس البلد وناسه ودفعه إلى أسوأ الاحتمالات والمصائر، وبشكل خاص إلى تغذية واستغلال وقع لأزمته من قبل قوى خارجية بغرض فرض سياسات وعلاقات ومواقف على حساب سيادته ووحدته ومصالحه وحقوقه ووجوده!

هنا يكمن جوهر الخلل الذي استشرى حتى بلغ هذا المستوى التدميري والإفقاري للبنان وشعبه، وهو مستوى غير مسبوق في تاريخ الأنظمة والدول. من هنا ينبغي أن يبدأ الإصلاح. ومن هنا، حكماً، ينبغي أن تنطلق المحاولات الرامية إلى تحقيقه، كلياً أو جزئياً، فوراً أو تدريجاً. الواقع أن النص الدستوري المقر في «الطائف»، كأحد استنتاجات الحرب الأهلية الدامية والمديدة بين عامي 1975-1990، هو الذي يمكن، أو ينبغي، الانطلاق منه. لا بدّ، لهذا الغرض، من تسريع ذلك للسيطرة على الأزمة ولتعويض ما فات من المماطلة والتعطيل. معروف أن مسار الإصلاحات كان ينبغي أن يبدأ، دستورياً، مع انتخاب أول مجلس نيابي على أساس «المناصفة»، أي مجلس عام 1992. وكان ينبغي أن ينجز، ضمناً، عام 1996 ليكون المجلس النيابي الجديد منتخباً وفق معايير جديد متحرر من القيد الطائفي بالاقتران مع استحداث «مجلس شيوخ» محدود ومحصور الصلاحيات لمعالجة الهواجس الطائفية.

ما حصل العكس تماماً. في قانون الانتخاب الحالي، المعتمد أيضاً منذ انتخابات عام 2018، بعد تمديد تعسفي لخمس سنوات، جرى تكريس الطائفية بالصوت التفضيلي المحصور في القضاء بعد أن كاد أن يُفرض، وفق الصيغة «الأرثوذكسية»، صوت مذهبي صافٍ!

نقطة الضعف أو الخطأ أو الخلل في الاقتراحات الإصلاحية البديلة أنها لم تنطلق من هذه النقطة. لقد كان الأحرى بالقوى الوطنية التغييرية، القديمة أو التقليدية، ذات التجارب والخبرة والتاريخ، أن تبادر إلى عمل جبهوي إصلاحي بعد تفشي الكارثة واستعصاء الحلول، أو حتى قبل الوصول إلى ذلك. هي لم تفعل وفوتت فرصة ودوراً تاريخيين. هي في ضوء ضراوة الأزمة، امتنعت، في الواقع، عن النهوض بمسؤولية وطنية وأخلاقية وإنقاذية هائلة. كذلك فإن القوى الجديدة، التغييرية الناشئة، لم تول هذه المسألة ما تستحق من عناية وبلورة وأولوية. طرحها ضبابي يركّز على السلوك أكثر مما يركّز على النهج، وعلى الممارسة أكثر من تركيزه على النظام السياسي. لذلك كان سهلاً اختراق صفوفها واستغلال تحركها وإغراقه بطرح بديل من نوع التركيز على سلاح المقاومة ومسؤولية هذا السلاح عن الأزمة عوضاً عن التركيز على النظام التحاصصي الطائفي التابع والمتفلت من المسؤولية والعقاب عمّا ارتكبه من جرائم إفلاس الدولة ونهبها وسرقة وإفقار اللبنانيين.

ليس خافياً أن نتائج الانتخابات الأخيرة قد ضاعفت الحيرة والضياع، وأيضاً محاولات البحث عن الحلول من خلال الفرز الذي أسفرت عنه الانتخابات في اصطفافات أطرافها وكتلها أو عدم اصطفافهم. إن ثمّة فرزاً جديداً ينبغي أن ينشأ على أساس متين وواضح من النضال لإسقاط الصيغة الطائفية لمصلحة نظام مدني: بمواطنة متساوية ودستور نافذ ونظام انتخابي عصري متحرر من القيد الطائفي وعلاقات تحكمها المساءلة والكفاءة لا سواهما من الآفات والعاهات والخزعبلات الشائعة!

باعتماد الطائفية ومنظومتها التحاصصية انهار لبنان وأُذل وأُفقر وتشرد شعبه. انتصار أطراف السلطة في الانتخابات الذي هو أحد ثمار ضعف البديل، لا يعني سوى المضي نحو قعر الهاوية والخسارة. لقد سقطت مقولة: «يكون لبنان طائفياً أو لا يكون»! لقد سقط لبنان الطائفي سقوطاً مدوياً. لبنان الجديد ينهض، فقط، من خلال دولة مواطنة مدنية متحررة (بثمن مخيف) من الهيمنة على مقدرات البلد ومصالح ومصائر شعبه من قِبل حفنة من تجار الطوائف والمذاهب!

* كاتب وسياسي لبناني

* كاتب عربي ـ حسابه على تويتر
@asadabukhalil

**الحدث**

سُجّلت، في الأسابيع الأخيرة، أحداث متنوّعة ذات طابع أمني، أتت بأن المنطقة، وربما العالم، يشهدان حلقة جديدة من «حرب الظلّ» الأمنية بين الكيان الإسرائيلي وإيران. حربٌ يبدو أنها ستكون ذات أثمان باهظة، وخصوصاً إذا ما أُديرت بحسابات سياسية وإعلامية وشخصية ضيّقة. كما يجري الآن في تل أبيب. ولعلّ وجهاً من وجوه تلك الأثمان، هو الهلع الذي أصاب نحو 100 ألف إسرائيلي في تركيا، نتيجة تحذير أجهزة العدو من هجوم وشيك هناك، والذي بدا معه أن «فلسفة» قيام الكيان في الأساس، وجوهر سياسة التطبيع وقمم المقاومات، أي تحقيق «الأمن» للإسرائيليين، يتعرّضان لاهتزازات عميقة. إذ بات الإسرائيليون يُضطرّون إلى إخفاء هوّيتهم «اليهودية» وهم يجولون العالم، إلى حدّ أن مراسل «يديعوت أحرونوت» سأل همساً إسرائيلياً التقاه في إسطنبول، قبل أيام، حول الإجراءات التي يتّخذها للحفاظ على أمانه ومن معه. فأجاب: «قُلنا للأحفاد: لا تتكلّموا العبرية بصوتٍ مُرتفع»!

# «لا تتكلّموا العبريّة بصوتٍ مُرتفع»! إيران - إسرائيل: الحرب (غير) الصامتة

تخشى المؤسسة الأمنية الإسرائيلية، وكذلك السياسية، من ردّة الفعل الإيرانية على العمليات الأمنية الموجّهة ضدها (أ ف ب)

**حسين الأمين**

مَن تابع الإعلام الإسرائيلي، خلال الأسابيع الفائتة، لا بدّ من أن يكون قد استشعر حجم «التوتّر» الشديد الذي عانته المؤسّستان الأمنية والسياسية في الكيان، تفاعلاً مع تحذيرات أمنية أطلقتها أجهزة استخبارات العدو، طالت عدداً كبيراً من المستوطنين، وصل إلى نحو 100 ألف شخص، بينهم ضبّاط عسكريون وأمنيون حاليون وسابقون، وسياسيون ورجال أعمال وخبراء وعلماء، فضلاً عن سيّاح عاديين. ولئن حازت التحذيرات الأخيرة الموجّهة بشكل خاص إلى الإسرائيليين الموجودين في تركيا الاهتمام الإعلامي الأوسع، انطلاقاً من أهداف سياسية إسرائيلية، واستناداً إلى حجم التهديد أيضاً، حيث يبدو في تركيا أشدّ منه في دولة الإمارات مثلاً، أو الأرجنتين، أو دول أخرى خارج المنطقة كانت محلّ متابعة وتحذير لدى المستوى الأمني في تل أبيب، إلا أن ذلك لا يعني بالضرورة أن ما يقوله العدو، في تقاريره وتصريحات مسؤوليه وحتى إعلامه، هو حقيقة كاملة؛ إذ تدخل في هذا السياق حسابات سياسية مركّبة، تتعلّق بالساحة التركية، وطبيعة العلاقات التركية - الإيرانية العميقة والقديمة، والعلاقات التركية - الإسرائيلية التي يجري ترميمها وتعزيزها الآن، بعد سنوات من الفتور والتعقيد.

### مشروع التشهير

يُنظَر خبراء الاحتلال لمشروع «التشهير بالنشاط الإرهابي للحرس الثوري الإيراني»، وهو مشروع يهدف، بحسب هؤلاء، إلى إظهار أن «إيران هي مشكلة عالمية، وليست مشكلة خاصّة بإسرائيل». وفي سبيل تشكيل هذه الصورة، تلجأ أجهزة العدو إلى اختلاق أو تضخيم بعض «القصص» الأمنية، والترويج لها عبر وسائل

> مهما تصاعدت وتيرة «حرب الظلّ» بين كيان العدو وإيران، فهي تبقى مساراً «رديفاً»

الإعلام ومواقع التواصل الاجتماعي، وعادةً ما تكون متنوّعة وموزّعة على قارّات العالم. لكن تلك المساعي لا تنفي بأيّ حال حقيقة نشوء حلقة جديدة ومثيرة من «حرب الظلّ» الأمنية الدائرة بين العدو الإسرائيلي وإيران منذ أكثر من 40 سنة، والتي تتصاعد في فترات وتَخفت في أخرى، نتيجة مجموعة من العوامل المختلفة التي تكبح الجيوش والمنظّمات العسكرية عن خوض الحرب بشكلها التقليدي، فيقودها ذلك إلى تسعير الحرب الأقلّ كلفة، وذات التأثير المقبول في العدو، في حال بقائها ضمن حدود معقولة، ولم يقرّر أحد طرفيها تطويرها إلى صراع عسكري تقليدي. لكن يبقى من أهمّ قواعد هذا النوع من الحروب، الكتمان، وعدم ترك أثر، والابتعاد التامّ عن التبنّي الرسمي، لا تصريحاً ولا تلميحاً، على اعتبار أن تجاوز القاعدة المذكورة يعني تعطيل ميزة «الأقل كلفة»، حيث سيدفع الضرر السياسي والإعلامي والأمني الذي يسبّبه التبنّي والتصريح، الطرف الهاجم إلى الانتقام بأيّ طريقة يراها ممكنة، ما يرفع الكلفة إلى حدّ بعيد. ولا ينكر الإسرائيليون أن «الموساد» نفّذ الكثير من العمليات الأمنية والاستخبارية في إيران والمنطقة، والتي لم تتدفع إيران إلى الردّ عليها في كلّ مرّة، بالنظر إلى أن «اللعبة» هنا طويلة الأمد ومعقّدة ومستمرة وبعيدة عن العواطف والصورة الإعلامية. لكن «أما وقد بات الساسة الإسرائيليون يتبجّحون ويتباهون بهذه العمليات أمام الرأي العام الإسرائيلي، لتحقيق مصالح حزبية وشخصية آنية، فإن ذلك يستفزّ صانع القرار الإيراني الذي يبدو أمام رأيه العام الداخلي مُستهدَفاً، ومخترقاً، وسهل النفاذ إليه»، بحسب تعبير الجنرال عاموس غلعاد، الرئيس السابق للقسم الأمني والسياسي في وزارة الحرب الإسرائيلية. وفي هذا السياق، استشهد أحد المحلّلين الإسرائيليين بما قاله وزير الخارجية الأميركي الشهير، هنري كيسنجر، عن أنه «ليس لإسرائيل سياسة خارجية، بل سياسة داخلية فقط»، ما يعني أن الاعتبار السياسي الداخلي هو الأصل الغالب.

### اختبار متجدّد

تخشى المؤسسة الأمنية الإسرائيلية، وكذلك السياسية، من ردّة الفعل الإيرانية على العمليات الأمنية الموجّهة ضدّها، وخصوصاً تلك التي لا يتمّ كتمانها. وقد عبّرت مصادر أمنية كبيرة في الكيان عن غضبها من تصريحات السياسيين الإسرائيليين، ابتداءً من رئيس الحكومة، حول النشاط الأمني الإسرائيلي ضدّ أهداف إيرانية. وأشارت الأحداث الأخيرة صراعاً بدأ يطفو على السطح، بين المسؤولين الأمنيين، ونظرائهم السياسيين، وحتى القانونيين. إذ بحسب الكاتب الإسرائيلي البارز، عكيفا إلدار، «تُعدّ الأحداث الأخيرة الجارية على الأراضي التركية اختباراً مثيراً للاهتمام». ويرى إلدار أن «دولة إسرائيل (باتت) هي شركة التأمين، والجيش الإسرائيلي وجهاز الأمن العام هما وكلاء التأمين، ونحن جميعاً ندفع قسط التأمين بالدم». ويطالب، في مقالته في هآرتس»، مسؤولي المستويَين السياسي والعسكري بأن «يأخذوا في الاعتبار - عند تقرير أيّ هجوم - أن هذا سيؤدي في الواقع إلى الانتقام، فكلّما كان الخصم أكبر وأكثر خطورة ارتفع الثمن الذي سيدفعه المواطنون في البلاد»، منبّهاً الإسرائيليين إلى أن «عليهم، عندما يسمعون عن نجاح آخر لعناصر غير معروفة في اغتيال عالم إيراني، أن يغيّروا خطّة عطلتهم في سيناء أو إسطنبول». ويستشهد إلدار بحادثة تفجير مبنى الجالية اليهودية في العاصمة الأرجنتينية بيونس إيرس في تموز 1994، حيث دعاه وزير السياحة آنذاك، عوزي برعام، الذي جاء لتقديم تعازيه لرؤساء الجالية اليهودية، كممثّل للحكومة الإسرائيلية، إلى الانضمام إلى الاجتماع، عندما قال أحد المُضيفين للوزير: «في المرّة القادمة التي تقتل فيها عربياً، فكّر فينا أيضاً».

### مسار «رديف»

على أيّ حال، ومهما تصاعدت وتيرة «حرب الظلّ» بين كيان العدو وإيران، فهي تبقى مساراً «رديفاً»، يتفاعل مع مسار الحرب العسكرية التقليدية. ويدرك العدو أن الاستثمار الإيراني الأساسي يصبّ في مسارَين استراتيجيَّين، هما، بحسب الجنرال الإسرائيلي عاموس غلعاد، «حرّام النار الصاروخي والطائرات بدون طيّار، والمسار النووي». ويرى غلعاد أن «المواجهة بين إسرائيل وإيران أخذة في الاتّساع، وتتحوّل إلى نمط أكثر عنفاً في المنطقة، وفي إيران نفسها». ويقول إن «تصعيد التهديد الإيراني يتطلّب من إسرائيل الاستثمار في بناء قوّة مخصّصة من أجل إنشاء الخيار العسكري الواقعي والضروري لتعزيز الردع ضدّ إيران»، لأن «القدرة العسكرية هذه ستشكّل أدوات ضغط حقيقية لتحريك الولايات المتحدة والنظام الدولي إلى الترويج لاتفاقية (نووية) أطول وأفضل، أو بدلاً من ذلك، الدفع تجاه عقوبات دولية شاملة وفعّالة ضدّ إيران». وعلى صعيد موازٍ، قال مسؤولون كبار في الإدارة الأميركية ووزارة الدفاع، لـ«شبكة CNN»، إنه «على الرغم من حقيقة أن إسرائيل لا تنقل أيّ معلومات حول عملياتها في إيران إلى واشنطن، إلا أن الإدارة لم تطلب منها بأيّ حال من الأحوال وقف العمليات»، لكن «المسؤولين هؤلاء عبّروا عن قلقهم من أن أيّ خطأ في الحسابات من جانب إسرائيل أو إيران، قد يؤدّي إلى خروج التصعيد عن السيطرة، وفرص حدوث مثل هذا التطوّر أعلى من أيّ وقت مضى».

> لا أحد في الكويت يتوهّم بأن حلّ «مجلس الأمة» وحده سيكون كافياً لوضع الأزمة على طريق الحلّ

يعني عملياً أكثر من ثلاثة أشهر، فإن ذلك قرئ في الشارع الكويتي على أنه إتاحة الفرصة للأطراف لإعداد نفسها للانتخابات المقبلة، وربما التواصل مع المعارضة لمحاولة إعداد ترتيبات تسبق الانتخابات، بحيث تحصل الأخيرة بعد اتفاق بين الطرفين على تنظيم العلاقة في المرحلة المقبلة، وأيضاً لتجنّب إقامة الحملة الانتخابية في حرّ الصيف، حيث يغادر الكثير من الكويتيين لقضاء هذه الفترة في الخارج، علماً أن وليّ العهد نفسه وضع الأمر في سياق «إعداد الترتيبات القانونية اللازمة» للانتخابات.

وفي حال لم تحلّ الانتخابات القادمة المشكلة المستعصية بين السلطتَين التشريعية والتنفيذية، وأعادت نتيجتها أجواء التأزيم ذاتها، فإن مشعل كان واضحاً بأنه «ستكون لنا إجراءات أخرى ثقيلة الوقع والحدث»، في ما اعتُبر تلميحاً إلى حلّ غير دستوري لمجلس الأمة، وذلك على رغم تعهّده «بأننا لن نحيد عن الدستور ولن نقوم بتعديله ولا تنقيحه ولا تعطيله ولا تعليقه ولا حتى المساس به». وإذا كانت حيوية «مجلس الأمة» في الكويت، والذي يُنتخب أعضاؤه الخمسون مباشرة من الشعب، تُسبّب أزمات داخلية دورية، مردّها في الحقيقة مطالبة النواب بمشاركة أكبر في القرار السياسي والقرارات التنموية، فإن «الإزعاج» الذي يمثّله المجلس صار يتعدّى الحدود الكويتية إلى كلّ أنحاء الخليج، ولا سيما السعودية والإمارات، اللتين لا تعرفان الانتخابات، ولا تسمحان بأيّ صوت اعتراضي في الداخل، وتخشيان من تطلّع شعبَيهما إلى محاكاة التجربة البرلمانية الكويتية، خاصة وأن قطر أجرت انتخابات، وإن كانت لا تزال بعيدة عن الوصول إلى مستوى الحياة السياسية الكويتية العريقة. وفي الآونة الأخيرة، صدر كلام عن أكثر من معارض سعودي، يفيد بـ«انزعاج» وليّ العهد السعودي، محمد بن سلمان، من «مجلس الأمة»؛ إذ تحدّث المغرّد الشهير، «مجتهد»، عن وجود خطّة لدى ابن سلمان لضرب هذا المجلس، تقوم على «تحميله مسؤولية تأخير القرارات المهمّة وخطط التنمية ومسؤولية الفساد والفوضى في مؤسسات الدولة، كما على صناعة قناعة بأن مشكلات البلد لن تُحلّ إلا بالتخلص من البرلمان». كما يمكن رصد حملة مستمرّة للذباب الإلكتروني السعودي ضدّ البرلمان الكويتي، لا ترى حلّاً للأزمة إلا بالتخلّص منه.

**الكويت**

# خطر التعطيل يلاحق البرلمان: انتخابات جديدة لتسكيت الأزمة

تتفاقم الأزمة السياسية في الكويت، إلى الحدّ الذي دفع بعض الكويتيين إلى الإعراب عن مخاوفهم عبر وسائل التواصل الاجتماعي، من أن تتحوّل بلادهم إلى واحدة من دول الشرق الأوسط التي تشهد أزمات سياسية تستعصي على الحلّ، مع فارق أن النفط يقيها المصير الاقتصادي الذي تعاني منه تلك الدول. ودفع هذا الواقع بوليّ العهد مشعل الأحمد الصباح، الحاكم الفعلي للدولة، إلى التحرّك لكسر الانسداد السياسي المزمن في العلاقة بين السلطتَين التنفيذية والتشريعية، مُعلناً قراره حلّ «مجلس الأمة»، على أن يُصدر مرسوماً بالحلّ والدعوة إلى انتخابات جديدة خلال الأشهر المقبلة. ويأتي ذلك بعدما تحوّلت الأزمة إلى اعتصامات داخل مجلس النواب وفي الدواوين، احتجاجاً على عدم تشكيل حكومة بديلة لحكومة صباح الخالد المستقيلة منذ أكثر من ثمانية يوماً، وتعطيل جلسات البرلمان الذي أصبح في حُكم الميّت، على رغم أنه لم يمرّ سوى سنة ونصف سنة على انتخابه

**حسين إبراهيم**

على رغم الارتياح الذي قابلت به المعارضة الكويتية إعلان وليّ العهد، مشعل الأحمد الصباح، باشم الأمير نواف الأحمد، الغائب عن الواجهة بسبب المرض، عن أنه سيحلّ «مجلس الأمّة» ويدعو إلى انتخابات جديدة في الأشهر المقبلة، إلا أن أحداً في الكويت لا يتوهّم بأن مثل هذا الإجراء وحده سيكون كافياً لوضع الأزمة السياسية المزمنة على طريق الحلّ. صحيح أن الصورة التي أصبحت عليها الكويت بعد خطاب وليّ العهد، ولّدت انطباعاً بأن المعارضة التي تحتلّ حيّزاً كبيراً من البرلمان، حقّقت مكسباً ما، بدليل أنها سارعت إلى فضّ الاعتصامات والتهليل للقرار، لا سيما وأن بعض المراقبين قرؤوا تأكيد مشعل أن القيادة لن تتدخّل في اختيار الشعب لممثّليه ولا في اختيار المجلس لرئيسه ولجانه، على أنه إشارة إلى استعداده للانفتاح على احتمال تغيير رئيس البرلمان، مرزوق الغانم، الذي ظلّ يحظى بدعم القيادة السياسية طوال سنوات شغْله هذا المنصب، إذا أفضت الانتخابات إلى نتيجة تُحتّم ذلك. لكن هذه القراءة قد تكون سابقة لأوانها؛ بالنظر إلى أن إبعاد الغانم، وعدم تكليف صباح الخالد بتشكيل الحكومة المقبلة، وهما من أبرز مطالب المعارضة، لن يحلّا المشكلة، فالأزمة أو المواجهة الحقيقية تدور بين وليّ العهد والمعارضة، ويمثّل الغانم والخالد خطّ دفاع للقيادة السياسية فيها، وبالتالي فإن الصراع المباشر بين القيادة والمعارضة سيؤدي إلى تأزّم أكبر بكثير، كما حدث قبل سنوات، حين تحدّت الأخيرة الأمير الراحل، صباح الأحمد، مباشرة.

إلّا أنه من غير المرجّح أن تنتهي الانتخابات المقبلة إلى نصر كاسح للمعارضة، يمكّنها من الهيمنة بالكامل على «مجلس الأمة»، لأسباب كثيرة بعضها في صُلب تكوين المجلس الذي يُعتبر وزراء الحكومة أعضاء غير منتخَبين فيه حُكماً، وبعضها الآخر يتّصل بالتنوّع الذي يميّز المشهد الكويتي بين قبائل وحضَر، وشيعة وسنّة. ومع ذلك، فإن المعارضة قد تُحقّق تقدّماً إضافياً في الانتخابات المقبلة، نتيجة امتلاكها ناصية الشارع، كما فعلت في معظم الانتخابات التي كانت تُجرى بعد كلّ حلّ للمجلس أو في الموعد الدستوري، وهي عملية تكرّرت كثيراً في السنوات الـ 11 الماضية، أي منذ انطلاق «الربيع العربي» الذي تأثّرت به الكويت بشكل كبير، وما زالت تداعياته مستمرّة عليها حتى الآن. ومنذ ما قبل صدور مرسوم الحلّ، انطلقت الاستعدادات للانتخابات، وخاصة بين القبائل التي تُجري عادة ما يسمى «تشاوريات»، وهي ممارسة تشبه الانتخابات الفرعية غير الرسمية، تفضي إلى اختيار مرشّحيها في انتخابات «مجلس الأمة»، في عملية تكرّرت كثيراً في السنوات الـ 11 الماضية، أي منذ

قرار حلّ «مجلس الأمة» يكسر الجمود السياسي (أ ف ب)

**تقرير**

# نشاط «فوق العادة»: كوريا الشمالية نحو اختبارها النوويّ السابع؟

**بتول سليمان**

عقد الزعيم الكوري الشمالي، كيم جونغ أون، ابتداءً من الثلاثاء الماضي، اجتماعاً لكبار المسؤولين العسكريين على مدار ثلاثة أيام، بهدف مناقشة سياسات الدفاع الوطني. وبحسب وكالة الأنباء الكورية الشمالية، فإن الهدف من اجتماع اللجنة العسكرية المركزية لـ«حزب العُمّال» الحاكم، هو «مراجعة العمل الدفاعي خلال النصف الأول من العام الجاري، والتأكيد على المهام الحاسمة والعاجلة لتوسيع القدرات العسكرية». وأضافت الوكالة أنه «تمّت مناقشة إسناد مهام إضافية لوحدات الجيش في الخطوط الأمامية»، في ما عدّه محلّلون مؤشراً واضحاً إلى نيّة بيونغ يانغ «نشر أسلحة نووية في أيّ معركة مقبلة مع كوريا الجنوبية»، خصوصاً أن الاجتماع ظهرت فيه خريطة كبيرة للساحل الشرقي لشبه الجزيرة الكورية، بما يشمل المواقع الحدودية.

ونقلت شبكة «ABC» الأميركية عن كبير المحلّلين في معهد «سيجونغ» الخاص بكوريا الجنوبية، تشيونغ سيونغ تشانغ، قوله إنه «على الرغم من عدم وجود أيّ ذكر علني للأسلحة النووية التكتيكية، إلا أنه يمكنني الجزم أن قضايا النشر الأمامي للأسلحة النووية التكتيكية وتعديل الخطط العملياتية وتعديلات التنظيم العسكري، قد نوقشت بشكل متعمّق في الاجتماع». وأضاف المحلّل أن هذه التعديلات «كانت متوقّعة» منذ أن أعلنت كوريا الشمالية في الجديدة ستعزّز بشكل كبير القدرة الهجومية للوحدات والتشغيل الفعّال لتلك الأسلحة»، مشيراً في هذا السياق إلى حديث الزعيم الكوري في نيسان الفائت، حين قال: «يمكن أن تستخدم الأسلحة النووية بشكل استباقي إذا تمّ تهديدنا... لن تقتصر أبداً على الردع فقط بل إنها أيضاً ستكون مهمتها مواجهة أيّ تهديدات خارجية لمصالح كوريا الشمالية الأساسية». ولفت تشيونغ إلى أنه «من المتوقّع أن تُجري كوريا الشمالية تجربتها النووية السابعة بعد الاجتماع»، مُذكّراً بأن تجربتها النووية الثالثة في عام 2013 جاءت أيضاً بعد أيام من اجتماع للجنة العسكرية المركزية.

وفي الاتّجاه نفسه، أجمع محلّلون غربيّون على أن كيم لا يلتقي بالقادة العسكريين 1«إلّا في حال وجود أمر مهمّ عسكرياً»، وهو ما يدفعهم إلى توقّع أن يكون الاجتماع تمهيداً للاختبار النووي المرتقب، والذي يثير قلق الولايات المتحدة وحلفائها في منطقة المحيط الهندي والهادئ. وفي حال نُفّذ هذا الاختبار بالفعل، فسيكون السابع منذ 2006، والأوّل منذ أيلول 2017، عندما أعلنت كوريا الشمالية تفجيرها قنبلة نووية حرارية، لتلائم صواريخها البالستية العابرة للقارات. وسجّلت بيونغ يانغ رقماً قياسياً سنوياً في عمليات الإطلاق البالستية في النصف الأول من العام الجاري؛ إذ أطلقت 31 صاروخاً، وعدّة قذائف مدفعية. وفي هذا السياق، يعتبر خبراء أن «تسريع الكوريين الشماليين بشكل غير عادي وتيرة هذه الاختبارات، يؤكد نيّة كيم المزدوجة لتعزيز ترسانته أولاً، والضغط على نظيره الأميركي بشأن الدبلوماسية النووية المتوقّفة منذ فترة طويلة، ثانياً». وفي المقابل، لا يبدو أن الولايات المتحدة التي قالت إنها

> تتطلّع إدارة جو بايدن إلى تعزيز «التعاون» مع الصين في ما يخصّ التهديد النووي في شبه الجزيرة الكورية

ستضغط من أجل فرض عقوبات إضافية إذا أجرت بيونغ يانغ تجربة نووية أخرى، ستذهب بعيداً في الخيار المذكور، وذلك بسبب الانقسامات بين الأعضاء الدائمين في مجلس الأمن الدولي عندما يتعلّق الأمر بعقوبات على بيونغ يانغ.

ومن هنا، أتى اللقاء الذي جمع مستشار الأمن القومي للبيت الأبيض جيك سوليفان، إلى مدير اللجنة المركزية للشؤون الخارجية الصينية يانغ جيتشي، الأسبوع الماضي، في لوكسمبورغ، في جلسة نقاش استمرّت أربع ساعات ونصف ساعة، ووصفها مسؤول كبير في إدارة جو بايدن بأنها «صريحة ومتعمّقة وموضوعية ومثمرة». وقد عكس هذا الاجتماع، بتوقيته ومواضيعه، «أمل الإدارة الأميركية تحت قيادة بايدن في العمل مع الصين بشأن كوريا الشمالية، على رغم الخلاف بين الطرفين»، وفق ما قاله المحلّل في مجلة «نيوزويك» الأميركية، توم أوكونور، مضيفاً أن إدارة بايدن «تتطلّع إلى تعزيز الدبلوماسية مع الصين عن كثب في ما يخصّ التهديد النووي في شبه الجزيرة الكورية».

تعتبر واشنطن وسيول أن تصعيد كيم يهدف إلى ترسيخ مكانة بلاده كقوّة نووية (أ ف ب)

# البلاد

أحوال غزة

## مصيدة التسويق الشبكي أن تفقد المال... والأمل

**يوسف فارس**

بين ليلة وضُحاها، وجد الشاب محمد نصر نفسه غارقاً وسط حلٍ من الديون، وتحميل عدد من أقربائه له المسؤولية عن أموالهم، بعدما خضع لإغراء صديقه المقرّب بركوب موجة الغنى السريع، من خلال الاستثمار في ما يُعرف بـ«التسويق الشبكي» عبر الإنترنت. «لم يأتِ الواقع كما تشتهيه الأمنيات»، يقول الشاب الثلاثيني في حديثه إلى «الأخبار»، قبل أن يسفر عن تنهيدة ويشرح: «بعْت الجزء الأكبر من مصاغ زوجتي لأكمل مبلغ 2500 دولار اللازمة لدخولي في ما يسمّى التسويق الشبكي، بعد أن أغراني أقرب أصدقائي بأهوام استرداد رأس المال السريع، وتحصيل أرباح فلكية، تنتشلني من حالة الفقر التي أعيشها منذ أنتهى عقد عملي كمعلّم في مدارس الأونروا». ويضيف محمد الذي يعيل أربعة أبناء: «اتّضح لاحقاً، أن النسبة التي ساحصّلها بعد شهرين من إيداع المبلغ هي 9% فقط، وأنه يجب عليّ أن أقنع اثنين من دائرتي المقرّبة بوضع المبلغ نفسه، حتى أحصل على كلّ واحد منهما على نسبة 9% أيضاً، وأنّني مضطرّ أيضاً لإقناع ضحايا آخرين بإيداع ما مجموعه 27 ألف دولار، لكي أتحصّل على الـ2500 دولار التي وضعتها، وذلك بعد عام كامل، وهذا أمر تشوبه دناءة أخلاقية كبيرة، وهو مستحيل بالنظر إلى الواقع المادّي الذي يعيشه السكّان».

يؤكد محمد أبو ندى، وهو خبير في مجال العمل عبر الإنترنت، أن هذا العمل أصبح آفة خلال الأعوام الثلاثة الماضية، موضحاً، في حديثه إلى «الأخبار»، أن «إغراء الثراء السريع والأمن المخاطر، من دون مجهود حقيقي، هو ما يغري الشباب العديمي الخبرة، الكثيري الأعباء المادّية، بالدخول في مقامرة كهذه». ويعتبر أن «التسويق الشبكي أو الهرمي هما وجهان لعملة واحدة، يبدأ بفرد واحد هو قائد الفريق والمستفيد الأكبر، ويتمدّد إلى مجموعة كبيرة من الأفراد، ثمّ تختفي الشركة أو الشخص الذي يدير تلك العملية، ومعه الأموال التي حصل عليها من الضحايا».

ويبيّن أبو ندى، وهو مبرمج وخبير في مجال التجارة الإلكترونية، أن «الأمر يبدأ بإنشاء شركة وهمية، تسوّق لمنتَج غير موجود سوى في حسابات المستخدمين الوهمية، فيما ينتقل العمل إلى المرحلة الثانية، التي تتلخّص في استخدام وسائل إبهار وإقناع متقَنة للإيقاع بالضحايا، حيث مَن يتولّى هذه المهمة، هم أشخاص يتمتّعون بلباقة المظهر والقدرة العالية على الإقناع، ويستهدفون الأشخاص الطموحين إلى الربح وتحسين أوضاعهم المادّية، وهي

> أصبح العمل عبر الإنترنت آفة خلال الأعوام الثلاثة الماضية

الفئة الكبرى في غزة، مستعرضين نماذج محدودة من أشخاص حقّقوا أرباحاً كبيرة من هذا المجال. عقب ذلك، يأتي دور الضحية الأولى، التي يجب أن تتحوّل إلى مجرم، ينبغي عليه الإيقاع بضحايا آخرين، لكي يسترِدّ شيئاً من ماله، وبعد وصول رأس الهرم إلى مرحلة التشبّع، يغلق المشروع برمّته، وتختفي الأموال، ولأن أغلب المشغّلين هم أشخاص من الخارج، فإن كلّ القضايا إن رُفعت

أخ، أخت، زوجة، أعمام، لتنتهي قصص النصب الإلكتروني بتفكّك الأسر وانتشار الكراهية داخل جدران البيت الواحد». أمّا اقتصادياً، فإن هذا النوع من الاستثمار الخادع يسهم في تفريغ القطاع من رؤوس الأموال. ومن وجهة نظر أبو جياب، فإن «استمرار الظاهرة على حالها من دون توعية، سيؤدّي خلال بضع سنوات إلى دخول مبالغ مالية

(أفب)

كبيرة في دائرة مفرغة، غير منتِجة على صعيد الاقتصاد وتشغيل الأيدي العاملة، ولا تعود بأيّ منفعة على المجتمع والعاملين فيها».

ووفقاً للخبير في مجال الشبكات، محمود مطر، فقد استثمر الآلاف من الشباب، خلال السنوات الأخيرة، في مواقع من مثل «Pay Top»، و«Right Rise»، و«MBA»، وانتهت التجارب كافّة بإغلاق المواقع بعد جمعها ملايين الدولارات، قبل أن تُفرَح مواقع جديدة، مثل منصّة «كوفي 24» التي أغلقت أخيراً بعد أن سَرقت أموال الآلاف، الذين أغراهم الربح السريع، وقدرتهم على سحب نسبة من أرباحهم بعد أيام من وضعها، وتلك الأرباح ليست إلّا جزءاً من أموال ضحايا آخرين. وهنا، يُذكّر أن مجموع الأموال التي خسرها مستثمرون في موقع مثل «سويس كوين»، خلال أعوام، راوحت ما بين 5 و6 ملايين دولار. ولا تبدو مهمّة الأجهزة الأمنية في ضبط هذه الظاهرة ناجعة، على رغم إصدار ثلاثة قوانين في عام 2018، تُجرّم استخدام الإنترنت في تحصيل ربح غير مشروع، إلّا أن أكثر المتورطين في مثل هذه القضايا في القطاع، هم ضحايا، فيما يظقن المجرمون في دول خارجية مثل ماليزيا وتركيا.

## الباركور في القطاع: من المقابر إلى الأكاديميّة

**آدم زاهر**

بدلاً من القفز الشديد الخطورة فوق حواجز وعقبات المباني المهجورة أو أرصفة الشوارع، صار بمكن لعشاق الباركور في غزة ممارسة هوايتهم في مكان مخصّص أكثر أماناً وحرفية. منذ عُرف الباركور في غزة، قبل عقد ونصف عقد، هذه المرة الأولى التي يحظى اللاعبون فيها بمكان مجهّز ليس فيه مخاطر الإصابة التي عرفوها من قبل.

«Wallrunner» هي أول صالة رياضية للباركور في فلسطين، كانت «مجرد حلم» بالنسبة إلى أحمد مطر، «الآن صار حقيقة ملموسة». أسّسها الشاب الموجود في السويد منذ خمس سنوات بعد خروجه من قطاع غزة للمشاركة في بطولة العالم للباركور، وقرّر البقاء هناك لتدريب اللاعبين. جُهزت الصالة بالأدوات المتوفّرة محلياً، «ألواح خشبية على شكل صناديق» ومراتب للهبوط عليها، نظراً إلى صعوبة شحن أي معدات من الخارج.

في غرب المدينة تقع الصالة التي يحب مدربوها تسميتها «الأكاديمية». عشرات المتدربين وهواة المغامرة التحقوا بالدورات التدريبية، كان بعضها مجانياً. ولاحقاً افتُتح مقر ثان للأكاديمية في خان يونس جنوبي القطاع.

يشار إلى الباركور غالباً كنوع من الفنون القتالية -والاسم مشتق من تدريب عسكري في الجيش الفرنسي- وتقوم فكرته على حركات الوثب بالانتقال من النقطة أ إلى النقطة ب، بأكبر قدر ممكن من السرعة والسلاسة، وتفادي الإصابات، فهي مقياس كفاءة اللاعب.

بدأ الباركور في غزة عام 2005، في مخيم خان يونس للاجئين. كان مطر وبعض رفاقه يتدربون في الشوارع وبين جدران المقابر، ومرّات عديدة صارت المنازل المقصوفة بعد كل حرب أو تصعيد عسكري مكاناً للتدرّب رغم خطر احتمال سقوط الأجزاء المتبقّية منها. في بداية الأمر «كان الناس ينظرون إلينا باستغراب وكنا نقتل أنفسنا بالتدريب»، يقول مطر، ويضيف أن مشاركة مقاطع فيديو لتمارينهم على مواقع التواصل الاجتماعي «جذبت اهتمام الناس وبدأوا يؤمنون بما نقوم به».

سافر مطر إلى السويد، وهناك قابل «توم فيلانت» الذي صوّر معه فيلماً وثائقياً عن «باركور غزة»، ثم تشاركا من مكانهما في أوروبا في تأسيس أكاديمية Wallrunners داخل القطاع. أطلقا حملة تبرعات عبر الإنترنت لدعم الفكرة، ونتيجة ذلك تمكنا من تشغيل الصالة الرياضية مجاناً لعدة أشهر. ورغم أنه خارج غزة منذ سنوات، يبرر مطر اهتمامه بتعزيز الباركور في القطاع: «عاوز أذكّر العالم بأطفال وشباب غزة» الذين من حقهم ممارسة هواياتهم واللعب في مكان آمن.

أحمد أبو حطب، شاب عشريني، لم توقف إصاباته في تمرينات

> مزات عديدة صارت المنازل المقصوفة بعد كل حرب أو تصعيد عسكري مكاناً للتدرّب رغم خطر احتمال سقوط الأجزاء المتبقّية

الباركور شغفه في معاندة الطبيعة وأداء قفزات خطيرة فوق أسطح إسمنتية أو كثبان رملية. يقول: «الخطأ هنا قد يكلفك حياتك» أو تصاب بجروح خطيرة. يتمرّن أحمد بمعدل 4 ساعات في يوم التدريب الواحد، ويحاول الانتظام بالتمرين أربعة أيام في الأسبوع، لأن «العضلات تحتاج إلى الراحة»، يضيف: «لازم أرتاح يومين في الأسبوع عشان الجسم يهدا ويصل إلى الاستشفاء العضلي». في أثناء تمرين مع زملائه، جرح أبو حطب

شتات

## عاملات نظافة في شوارع المخيّمات «الشغل مش عيب»

**قاديا علي منصور**

«المال مقابل العمل»، مشروع تقوم به وحدة الشباب التابعة لـ«الأونروا» بتمويل من البنك الألماني للتنمية، يهدف إلى توفير فرص عمل قصيرة الأجل للعديد من اللاجئين الفلسطينيين الشباب والشابات. لكن، في الفترة الأخيرة، ضجّت المخيمات ووسائل التواصل الاجتماعي بضمّ المشروع للمرأة للعمل في مجال النظافة في الشارع، حيث لاقى العديد من الانتقادات من قبل اللجان الشعبية الفلسطينية وبعض الأهالي.

بحسب سوزان العاصي، «هذا العمل معروف في عاداتنا وتقاليدنا أنه من عمل الشباب، وعندما تقوم المرأة بهذا العمل فهي تزيد من نسبة بطالة الشباب، فصارت المرأة تعمل في جميع المجالات والزلة والشاب قاعد بالبيت دون عمل». كذلك مروة زعرورة، هي ضد عمل المرأة/ الفتاة كعاملة نظافة في الشارع، «هذا العمل هو للشاب، وبالأخص أن الفتاة لها بريستيج، بالإضافة إلى أنها ستتعرّض لبعض المضايقات من قبل الشباب إذا اضطرت للانحناء إلى الأرض والتقاط القمامة والأوراق، فلتُجنّب كل هذه الأمور فالشاب أولى للعمل في هذا المجال». لم يقف الجدل هنا، فقد صدرت عن اللجان الشعبية في المخيمات بيانات رفض واستنكار. يفضل أمين سر اللجان في الشمال أبو ماهر غنومي أن تعمل النساء في المكاتب «حتى لو بالتنظيف، لكن في الشارع غير مقبول في مجتمعنا».

في المقابل، ثمة من يؤيد الشابات في عملهن هذا. تقول إسراء البهلول: «أنا ما بعتبر الشغل عيب شو ما كان نوع الشغل، لأننا في المخيمات نعاني وضعاً صعباً جداً ومأساوياً، وكل شخص في العائلة هو بحاجة إلى أن يعمل حتى يقوم بمساعدة أهله ونفسه أولاً، فهذه الأوضاع صعبة على الجميع». من جهتها، تقول رغد أبو عيد: «أنا مع العمل للمرأة مقابل المال حتى لو كان تنظيف الشوارع، لأنه بهذه القضية بالذات على الجميع التعاون للحصول على بيئة نظيفة ولا يوجد فيها مستحى». أمّا زينة منصور، فهي مع «فكرة العمل كعاملة تنظيفات حتى لو كانت في الشارع في وقتنا هذا. فإن العمل في هذه الظروف أصبح أشبه بالمستحيل، فهذا المجال فرصة للعمل لذلك أصبح الشخص يبحث عن أي عمل لتامين قوت يومه له ولعائلته، ومعظم الأشخاص بدأوا بالتنازل عن شهاداتهم وخبراتهم مقابل العمل ليكون المعاش بالدولار».

بعد التواصل معه، أوضح المكتب الإعلامي لـ«الأونروا» في لبنان أن «عمل المرأة في مجال النظافة من خلال مشروع "المال مقابل العمل" ليس جديداً في لبنان، فهناك عدد من النساء شاركن في برنامج "عمال النظافة" منذ عام 2018 في لبنان». وتابع: «تدرك الوكالة أن الوضع الاجتماعي والاقتصادي الحالي له تأثير كارثي على عائلات لاجئي فلسطين، وهذا بدوره يغير الديناميكيات الاقتصادية لبعض العائلات. وهذا يظهر جلياً من خلال العدد الكبير من الطلبات المقدّمة من النساء للعمل في المشروع. هدفنا هو ضمان توفير أكبر عدد ممكن من فرص العمل لجميع الأشخاص المؤهّلين». وعن معارضة اللجان الشعبية، اعتبر أنه «من المتوقّع أن يكون هناك آراء مختلفة من المجتمع المحلي بما في ذلك التعبير عن الاعتراض، وخدماتنا تُقدمها للمجتمع الفلسطيني بمختلف شرائحه... يحقّ لأيّ مرشّح أن يحدد ما إذا كان يفضل العمل داخل منشآت الأونروا فقط، أو أن يظهر اهتمامه بالعمل كعامل نظافة. إنه من حق الجميع أن يعبروا عن اهتماماتهم وأن يقرروا أيّ نوع من العمل يكون مناسباً لهم».

(هيثم الموسوي)

### الأطراف الصناعية: الحياة تتسلّل إلى أجساد غزّيين

**تغريد عطاالله**

جهاد المبحوح، شابّ غزّي جميل المظهر، بُترت يده اليسرى خلال حرب عام 2014. إلّا أنه كان أحد المحظوظين من ذوي الإعاقة، بنيْله فرصة تركيب طرف صناعي ذكيّ ليده اليسرى، من خلال ورشة فنّية لتركيب الأطراف الصناعية في أحد مستشفيات القطاع. «يمكنني من خلال هذا الطرف محاولة استخدام يدي اليسرى بسهولة»، يقول. لكنّ العودة إلى مهنته (مزيّن شعر) لن تكون ميسّرة. أمّا أحمد أبو نار (34 عاماً) فهو أيضاً بُترت قدمه اليسرى جراء إصابته أثناء «مسيرات العودة» عام 2018، وقد حظي لاحقاً بفرصة تركيب طرف صناعي، مكّنه من متابعة حياته بشكل طبيعي نسبياً.

وفي شرحه لماهية الأطراف الصناعية، يبيّن مدير «مستشفى حمد» في غزة، نور الدين صالح، أن «الطرف الذكي هو طرف وظيفي وتجميلي، يعتمد على زرّ تشغيل كهربائي، وهو طرف متحرّك يشبه طرف الإنسان، ويسمح بممارسة الشخص لحياته اليومية بشكل طبيعي». ويوضح صالح أن العملية تبدأ بـ«تأهيل المستفيد لاستقبال الطرف الصناعي، ومن ثمّ لاستخدامه وتقبّله في الحياة اليومية». وتتحدّث الاختصاصية الاجتماعية، آيات أبو جيّاب، من جهتها، عن المردود النفسي لعملية تركيب الأطراف الصناعية، لافتة إلى دورها في تحفيز أصحاب الإعاقة، وتسهيل ممارسة حياتهم بشكل أفضل، فيما يشدّد الاختصاصي الاجتماعي، درداح الشاعر، على ضرورة إعادة تأهيل ذوي الإعاقة الذين باتت أعدادهم كبيرة في غزة بسبب الحروب و«مسيرات العودة»، وتيسير انخراطهم في مجال العمل، فضلاً عن إطلاق مبادرات وفعاليات متنوّعة لرفض جعل الإعاقة وصمة مجتمعية.

وفي هذا السياق، أطلقت مؤسسة «وصلة» عدّة مبادرات لتحسين الاستجابة لذوي الإعاقة، من بينها حملة «الرياضة تجمعنا» الهادفة إلى إشراك هؤلاء في الأنشطة الرياضية، وحملة «معلومَتي حقّ» الرامية إلى تسهيل وصولهم إلى المنشورات التي تطلقها وزارة الصحة، وحملة «معك عالطريق» المهتمّة بالتنسيق بين السائقين والركّاب وتقليل حالات التنمّر. وفي مجال إشراك ذوي الإعاقة في صنع القرار، برزت حملة بعنوان «كيف شايفها؟»، سعياً للتوقيع على موائيق بهذا الخصوص.

وتبلغ نسبة الأفراد ذوي الإعاقة في فلسطين، بحسب تعداد «جهاز الإحصاء المركزي الفلسطيني» لعام 2017، 2% من مجمل السكان، بواقع نحو 2% في الضفة الغربية، و3% في غزة. ويواجه هؤلاء مجموعة من المعوّقات التي تحول دون مشاركتهم الفاعلة في الحياة العامة، وهم الأكثر عرضة للبطالة والأمية، والأقلّ وصولاً إلى مصادر الخدمات والأدنى حظّاً في التمتّع بأنظمة الحماية الهشّة أصلاً، والأهمّ الأكثر انكشافاً وعرضة للفقر وسوء المعاملة والتمييز، فضلاً عن أنهم الأشدّ عزلة والأقلّ ممارسة لحقوقهم المختلفة.

# البلاد

(أ ف ب)

## أهل الأرض

# بادية القدس

**كمال الجعبري**

على بعد 4 كلم من المسجد الأقصى، وخلف جدار الفصل العنصري، يعلو صوت الدحية البدوية من بيوت الشعر والبركسات، في تلك الأغراس الصيفية، التي تتوزع فيها المناسف بين الضيوف وأهل العرس. فالقدس، وعلى عكس الصورة النمطية عنها كمدينةٍ تسكنها عائلات مدنيةٌ، يرتبط بها قضاءٌ يضم أكثر من 50 قرية، تحوي باديةً من أكبر بوادي فلسطين، وأكثرها أهمية جيوستراتيجية، تسكنها العديد من العشائر الفلسطينية منذ قرون، وفي هذه المادة سنتحدث عن «بادية القدس»، أو التجمعات البدوية شرق القدس.

### خلفية تاريخية

من ناحية تاريخية، نحن هنا نتحدث عن منطقة ضمن قطاع جغرافي كبير، كان يُعرف في الأدبيات التي تحدثت عن فلسطين وجغرافيتها في الأربعينيات والخمسينيات ببرية القدس والخليل أو بادية القدس والخليل، وهو قطاع جغرافي ممتدّ على طول امتداد السفوح الجبلية شرق القدس وبيت لحم والخليل، بمساحة عرضية تبلغ 25 كلم ومساحة كلية تُقدر بـ 1045,4 كلم2. وبفعل الطبيعة المقفرة، التي لا يوجد فيها إلا النباتات البعلية، ونظراً إلى وعورتها فإنها بقيت غير مسكونة طوال الفترات التاريخية المتعاقبة على فلسطين ولم يعمرها سوى البدو، لأنها تناسب حياتهم المعتمدة على الرعي والسكن المتباعد، والمتصوَّفة الباحثين عن الهدوء والعزلة.

### سكان التجمّعات البدوية

سكنت العديد من العشائر العربية الفلسطينية التجمعات البدوية، شرق القدس، قبل الاحتلال الإسرائيلي للضفة الغربية، في عام 1967، ومن أهم تلك العشائر: عرب الكعابنة، وعرب الجهالين، وعددٌ من بطون عرب التعامرة، وعرب بني عبيد، الذين سكنوا العبيدية لاحقاً، وتسمّت باسمهم، وبحسب مصطفى مراد الدباغ في كتابه «بلادنا فلسطين»، فقد بلغ عدد سكان بادية القدس في عام 1945، نحو 7070 نسمة. شهدت بادية القدس تحولاً ديموغرافياً بعد عام 1948، بعد أن هجّرت سلطات الاحتلال الإسرائيلي عرب الجهالين من تل عراد، في النقب المحتل، ليتفرقوا بين الأردن ومناطق الضفة الغربية، ولكنّ الغالبية العظمى منهم انتقلت للسكن بجوار أبناء عمومتهم في بادية القدس، ليصبح عرب الجهالين، هم المكوّن الرئيسي للقبائل العربية الساكنة في بادية القدس.

اليوم يبلغ تعداد البدو المقدسيين في التجمعات البدوية، شرق القدس (نحن نتحدث هنا عن تلك التجمعات الممتدة من بين العيزرية، وسفوح الجبال الشرقية المطلّة على البحر الميت)، بحسب مكتب تنسيق الشؤون الإنسانية في الأرض المحتلة (أوتشا) التابع للأمم المتحدة، نحو 7000 نسمة، تتوزع على 26 تجمعاً بدوياً.

### الاستيطان الصهيوني

من خلال تتبّعنا لمسار الاستيطان والوجود الصهيوني في منطقة الخان الأحمر وما حولها من المناطق القريبة من البحر الميت، نلاحظ أن الوجود الاستيطاني، أو الميل للاستيلاء على أي مساحة هناك، كان معدوماً حتى عام 1974، وقد يفسر ذلك بتصاعد عمليات المقاومة الفلسطينية في الأغوار الفلسطينية وضفة البحر الميت الغربية خلال الفترة بين عامي 1968 و1970، التي بلغ عددها، كما يشير الباحث يزيد الصايغ في كتابه «الكفاح المسلح والبحث عن الدولة: الحركة الوطنية الفلسطينية 1949 - 1993» نحو 1093 عملية. وفي سياق آخر، قد يفسر بداية النشاط الاستيطاني في بادية القدس، والقدس عموماً، بالتوجه الصهيوني العملي لتطبيق توصيات لجنة جافني الوزارية في عام 1973 برئاسة غولدا مائير، التي أوصت بزيادة عدد المستوطنين الصهاينة في القدس لزيادة نسبتهم بالنسبة إلى إجمالي السكان هناك.

> **نلاحظ أن الوجود الاستيطاني، أو الميل للاستيلاء على أي مساحة هناك، كان معدوماً حتى عام 1974، وقد يفسر ذلك بتصاعد عمليات المقاومة الفلسطينية في الاغوار**

ومع بداية عام 1975، وعلى عكس كثير من المناطق في الضفة الغربية التي بدأ النشاط الاستيطاني الفعلي فيها خلال الثمانينيات، وفي تاريخ 1974/11/24، أنشأت الحكومة الصهيونية منطقة صناعية في الشمال الغربي من منطقة الخان الأحمر تحت اسم «ميشور أدوميم» التي تحولت لاحقاً إلى مستوطنة صناعية. وتلتها معاليه أدوميم في عام 1978 والتي أعلنها الاحتلال كمدينة ضمن ما يسميه بالقدس الكبرى في عام 1992. ويظهر بوضوح مركزية تلك المنطقة للاستهداف الاستيطاني من خلال ذكر المخططات فيها ضمن المخططات الهيكلية الصهيونية كافة لمدينة القدس، وتصاعد عدد الوحدات الاستيطانية المبنية فيها. فخلال عامي 2016 و2017 فقط، بلغ عدد الوحدات الاستيطانية المنشأة في «تجمع أدوميم» في كل من «كفار أدوميم» و«معاليه أدوميم» و«ميشور أدوميم» نحو 3365 وحدة استيطانية، فيما بلغ عددها 1395 بين عامي 2018 و2019. وترافقت تلك الحملة الاستيطانية المسعورة مع الاستهداف المستمر لمختلف تجمعات الخان الأحمر، إذ يمارس الاحتلال العديد من عمليات التهجير ومحاولة الحد من حركة البدو وأماكن تواجدهم في التجمعات البدوية في القدس.

### سياسات التهجير

ارتبط الاستهداف الاستيطاني لبرية القدس بعملية ممنهجة لتهجير البدو المقدسيين وإزاحتهم من مناطق رعيهم وسكنهم، نحو المناطق الخاضعة للسيطرة الفلسطينية في أبو ديس والعيزرية ومحيطهما، مع ما يرافق ذلك من تغيير قسري لثقافة هؤلاء البدو الفلسطينيين، المرتبطة بالرعي وحياة البدو. ولتحقيق تلك السياسات، سار الاحتلال في عدة مسارات، منها الاستهداف المتكرر لبيوت الأغنام والمدارس، وخزانات الماء في التجمعات البدوية، وفي الوقت ذاته استغلّ الاحتلال اتفاقية أوسلو من أجل تطبيق سياسة تهجير جديدة بحق أهالي التجمعات البدوية في القدس. ففي عام 1995، ومع بدء تطبيق قرار إعادة انتشار جيش الاحتلال، نُفذت عملية تهجير قسري طاولت نحو 2000 مقدسي، تم نقلهم إلى 3 مناطق وهي: الخان الأحمر، بين القدس وأريحا، على الجهة الشرقية لطريق المعرجات (الطريق الرقم 1)، وشرق بلدة عناتا، شمال القدس، حيث تتوجد تجمعات مثل تجمع أبو بيوك البدوي، وشرق منطقة أبو ديس، في موضعين بعيدين عن مستوطنات الاحتلال الصهيوني في تجمع «أدوميم». وفي السياق ذاته، أنشأ الاحتلال تجمّع جبل البابا في عام 1997 في محاولة منه لتهجير جزء من عرب الجهالين إلى منطقة العيزرية وأبو ديس، وتتكرر سنوياً عمليات الهدم للمنشآت المختلفة في التجمعات البدوية كمدرسة تجمع أبو نوار التي هُدمت خلال العام الماضي عدة مرات وأعادت جهات أوروبية بناءها.

### الدعم الاوروبي

يقدم الاتحاد الأوروبي دعماً متواصلاً لسلطة أوسلو تحت بند دعم وإغاثة التجمعات البدوية في الخان الأحمر، ويقدم ما يصل إلى الخان الأحمر من هذا الدعم لإعادة ترميم ما يهدمه الاحتلال بشكل مستمر من بيوت ومدارس، وبخاصة في التجمعات الأكثر استهدافاً كتجمع أبو نوار الواقع في الوادي الواصل بين مستوطنتي معاليه أدوميم وكفار أدوميم. يفتقر هذا الدعم إلى تلبية احتياجات الصمود والاكتفاء الذاتي لسكان التجمعات البدوية، ومراعاة الموروث الثقافي لهم، والذي يقوم على حياة التنقل والبداوة طلباً للمرعى، كما أن مشاريع التنمية الزراعية للمحاصيل العلفية ومشاريع الإنتاج الحيواني المعتمدة على حليب الأغنام ولحومها لا تقدم ضمن حزم المشاريع التي تنفذها سلطة أوسلو بتمويل من الاتحاد الأوروبي.

### الخان الاحمر والانتصار الجماهيري

تجمّع الخان الأحمر، واحدٌ من التجمعات البدوية التي سكنها عرب الجهالين المهجّرون من تل عراد، في عام 1950، وبلغ عدد سكان التجمع نحو 146 بحلول بداية عام 2018، وفي تموز من نفس العام بدأت الإدارة المدنية الصهيونية، بصحبة قوات الاحتلال، بترحيل أهالي كامل التجمع إلى منطقة أخرى شرق العيزرية، لتتفجر ملامح حراكٍ شعبي مقدسي فلسطيني، بعد أقل من عام من انتصار هبة باب الرحمة، في المسجد الأقصى. وبعد 3 أشهر من فعاليات الرباط والمقاومة الشعبية، والتضامن، عبر صلوات الجمعة، وخيم الاعتصام، والاشتباك مع قوات الاحتلال، أعلن رئيس وزراء الاحتلال حينها بنيامين نتنياهو عن تجميد قرار إخلاء تجمع الخان الأحمر في 19 تشرين أول 2018. وبالرغم من هذا الانتصار الجماهيري، فإنّ الاحتلال ماضٍ في مخططاته لتهجير وإزاحة المقدسيين البدو عن مضارب الآباء والأجداد.

**مصادر:**

- مصطفى مراد الدباغ، بلادنا فلسطين، ج 8، القسم الثاني، في ديار بيت المقدس (القدس ورام الله وأريحا)، دار الهدى، كفر قرع، طبعة جديدة، 1991.
- معهد الأبحاث التطبيقية – القدس (أريج)، دليل تجمع الخان الأحمر، القدس، 2012.
- براءة درزي، تجمع الخان الأحمر شرق القدس في مواجهة التهجير، مؤسسة القدس الدولية، بيروت، 2018.
- خضر الريس وآخرون، سياسات تعزيز صمود في التجمعات البدوية في القدس، المركز الفلسطيني لأبحاث السياسات والدراسات الاستراتيجية – مسارات، رام الله، 2017.
- وكالة الأنباء والمعلومات الفلسطينية – وفا، التجمعات السكانية البدوية الفلسطينية، التجمعات السكانية البدوية في محافظة القدس.
- الأمم المتحدة – مكتب تنسيق الشؤون الإنسانية في الأراضي المحتلة، التجمعات البدوية التي يتهدّدها خطر التهجير القسري، القدس، 2014.
- مركز الزيتونة للدراسات والاستشارات، التقرير الاستراتيجي الفلسطيني 2016 – 2017، تحرير محسن صالح، بيروت، 2018.
- مركز الزيتونة للدراسات والاستشارات، التقرير الاستراتيجي الفلسطيني 2018 – 2019، تحرير محسن صالح، بيروت، 2020



**بريد حنظلة**

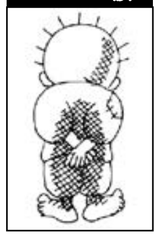

# نساء عين الحلوة

**طه يونس**

يصحو المخيم على مهل، يتثاءب كعادته، الساعة السابعة صباحاً تعني أن القهوة على النار في معظم بيوت عين الحلوة! الأطفال ينامون أكثر في الصيف، طرق متعرّجة بين الأزقة يسلكها الناس إلى أرزاقهم.

لم يكن هناك ما هو مختلف صبيحة يوم الثلاثاء، سوى وقع الخبر، فتاة حامل بغير زواج، لقد اعتدوا عليها، فضيحة دفعت الشمس ساعات إلى الأمام، حلّت الظهيرة قبل موعدها، وسرقت النعاس من عيون ذلك الصباح.

توالت الأخبار، اعتدى فلان وفلان على فلانة. فلانة مختلة عقلياً. العائلة تصمت. الدولة أفرجت عن فلان لكنه اختفى. الفتاة أصبحت شبحاً لا نعرفه، يُقال عنها ما يقال دون أن يُعرف وجهها. الحديث يدور عن أطراف مسلحة تريد أن تطمس الحقيقة. ليس هناك قصص أخرى يتداولها الناس، في البيوت والمقاهي والعزاءات وحتى في زوايا المساجد. الخبر تمدد إلى المخيمات الأخرى، أحداث بوليسية أضيفت إليه، المصادر مجهولة وغائبة دائماً، الكل ينقل الكلام عن الكل، وحكاية تغزل أخرى. الفتاة غائبة. مختلة عقلياً أم متوازنة فقصتها تتأرجح على الألسن. الخوف يتسع لدى الفتيات في المخيمات، ياكلهن.

يحدث ما يحدث في المخيم دائماً، لكن مثل هذا الخبر نادر جداً. أسبوع مرّ أو أكثر، لم يحصل الرأي العام على رواية رسمية، بعض الروايات تقول إن الحمل عمره خمسة أشهر، العائلة تواصل صمتها. نكتب بأضعف الإيمان، العار لا يلحق إلا بالمجرمين أياً كانوا.

■■■

زمن مرّ على حكاية أخرى، الاحتلال الإسرائيلي يدخل صيدا في اجتياح عام 82، شبحاً لا نعرفه، يُقال عنها ما يقال دون أن يُعرف وجهها. الحديث يدور عن أطراف مسلحة تريد أن تطمس الحقيقة. ليس هناك قصص أخرى يتداولها الناس، في البيوت والمقاهي والعزاءات وحتى في زوايا المساجد. الخبر تمدد إلى المخيمات الأخرى، أحداث بوليسية أضيفت إليه، المصادر مجهولة وغائبة دائماً، الكل ينقل الكلام عن الكل، وحكاية تغزل أخرى. الفتاة غائبة. مختلة عقلياً أم متوازنة فقصتها تتأرجح على الألسن. الخوف يتسع لدى الفتيات في المخيمات، ياكلهن.

يحدث ما يحدث في المخيم دائماً، لكن مثل هذا الخبر نادر جداً. أسبوع مرّ أو أكثر، لم يحصل الرأي العام على رواية رسمية، بعض الروايات تقول إن الحمل عمره خمسة أشهر، العائلة تواصل صمتها. نكتب بأضعف الإيمان، العار لا يلحق إلا بالمجرمين أياً كانوا.

■■■

أرى الآن ابن عين الحلوة ناجي العلي عائداً إلى المخيم من برد منفاه يضع يديه خلف ظهره، يمضي في الشارع الفوقاني، يدخل حي الطيرة، يتلفّت دون أن يتكلم، يتناول قلماً، يرسم المخيم على هيأة فتاة، تنام بهدوء من ينام في رحمها، تتألم دون أن تصرخ، تستمع إلى ضجيج الحكايات، وتخترع الصمت.

مقاتلون واعتُقل آخرون، لم يبق فيه رجال، قاتلوا حتى النفس الأخير... سقط المخيم.

أحضرت وكالة الغوث الخيام كي تنصبها، أعادت الناس إلى يوم نكبتهم! كان قرار الاحتلال منع إدخال مواد البناء صارماً، خربت نساء المخيم الخيام، أطلق الجنود النار، صممت النسوة... أحرقوا خيام الوكالة... نجحن!

رضخ من رضخ ودخل الطوب إلى المخيم. لم يكن هناك عاملو بناء، أعادت النساء بناء بيوت عين الحلوة بأيديهن. وعادت عاصمة الشتات قائمة إلى يومنا.

■■■

أرى الآن ابن عين الحلوة ناجي العلي عائداً إلى المخيم من برد منفاه يضع يديه خلف ظهره، يمضي في الشارع الفوقاني، يدخل حي الطيرة، يتلفّت دون أن يتكلم، يتناول قلماً، يرسم المخيم على هيأة فتاة، تنام بهدوء من ينام في رحمها، تتألم دون أن تصرخ، تستمع إلى ضجيج الحكايات، وتخترع الصمت.

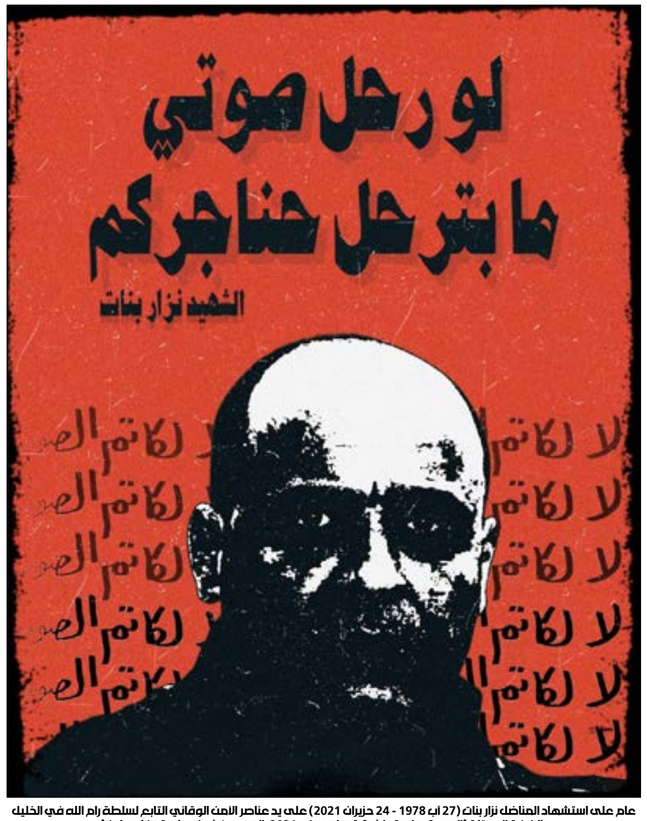

عام على استشهاد المناضل نزار بنات (27 آب 1978 - 24 حزيران 2021) على يد عناصر الأمن الوقائي التابع لسلطة رام الله في الخليل بالضفة المحتلة (الصورة: ملصق لشبكة صامدون - 2021، المصدر: ارشيف ملصق فلسطيني)

الأخبار
al-akhbar
السبت 25 حزيران 2022 العدد 4663

صورة وخبر

**في ظلّ انخفاض أعداد الإصابات بفيروس كورونا وسعي المملكة المعتمدة بشكل أساسي على السياحة لإغراء الزوّار الأجانب للقدوم إليها مجدداً، ألغت تايلاند، اعتباراً من يوم أمس الجمعة، القواعد التي تفرض ارتداء الكمامات في الأماكن العامة. يأتي ذلك بعدما كانت وكالة «بلومبيرغ» للأنباء قد ذكرت أنّ رئيس الوزراء برايوت تشان أوتشا طلب من الجهات المعنية دراسة الإرشادات اللازمة لإنهاء القيود وجمع آراء الخبراء لضمان صحة وسلامة الجميع، وفقاً للمتحدث باسم الحكومة تاناكورن وانجبونكونجتشانا. (هانان فاتسيايانا ــ أ ف ب)**

## «بيت القصيد» يطفئ شمعته العاشرة: ما زال الدرب في أوّله!

قبل عشرة أعوام، ظهر الشاعر والإعلامي اللبناني، زاهي وهبي للمرّة الأولى على قناة «الميادين» في برنامجه «بيت القصيد». ومع بداية سنة جديدة من عمر هذه التجربة التلفزيونية، تحلّ الممثلة اللبنانية كارمن لبّس، اليوم السبت، ضيفةً على البرنامج لتتحدّث عن جديدها وأحدث أعمالها، من بينها «عروس بيروت» و«رصيف الغرباء» و«عشرين عشرين»... ومع لبّس يتخطّى «بيت القصيد» الذي انطلق في عام 2012 عتبة الـ 500 حلقة، استضاف خلالها أسماء من مختلف المجالات الإبداعية والجنسيات العربية والأجيال. هكذا، كان الجمهور على موعد مع أدباء، شعراء، روائيين، مسرحيين، سينمائيين، رسامين، ممثلين، مطربين وموسيقيين.

هل تبقى متعة التمثيل هي نفسها مع مرور الوقت وتزايد الأدوار؟ وهل من سنّ يأس للممثل؟ وما الذي يسعف كارمن على الاستمرار وعدم الاستسلام في ظل الظروف الصعبة التي يعيشها لبنان؟ هذه الأسئلة وغيرها، سيطرحها وهبي الليلة على ضيفته التي تنوّعت أدوارها بين المرأة العادية والطيبة والقاسية والشريرة ونالت في معظمها ثناء الجمهور والنقاد.

يتطرّق الحوار أيضاً إلى غياب الأدوار المكتوبة خصيصاً للمرأة في سن متوسطة أو متقدّمة، وتجاهل كتّاب الدراما التلفزيونية لهذه الشريحة العمرية التي لا يحضر أصحابها إلا في أدوار ثانوية أو هامشية، معرّجاً في الوقت نفسه على جديدها الذي تصوّره حالياً وهو مسلسل «سرّ» الذي يقع في ستين حلقة من إخراج مروان بركات. كما يستعيد الحوار بعض المحطات الرئيسية في مسيرة لبس، ولا سيما أثر الحرب عليها، وهي التي تقول: «لم أعش طفولتي ومراهقتي وشبابي بسبب الحرب وظروف أخرى»!

في اتصال مع «الأخبار»، يؤكّد زاهي وهبي أنّ «أهم ما في التجربة حتى الآن أننا استطعنا الاستمرار رغم كل الظروف التي يمرّ بها العالم والمنطقة ولبنان، من جائحة كورونا إلى الحروب والأزمات الاقتصادية والاجتماعية... حافظنا على أن يظلّ البرنامج الذي

كارمن لبّس وزاهي وهبي في كواليس حلقة الليلة

يُصوّر في بيروت برنامجاً عربياً منوّعاً يحاول تغطية معظم المجالات الإبداعية الفكرية والأدبية والفنية، ومن البلدان العربية كافة». ويضيف: «حتى في فترة إصابتي بكوفيد19-، لم ينقطع بث البرنامج لأنّنا نحرص دائماً على تصوير حلقات بشكل مسبق. ويُحسب لإدارة «الميادين» حرصها على إبقاء المساحة الثقافية واسعة على الشاشة، وعدم الركون لمنطق الـ «رايتينغ»، وتوفير كل مستلزمات نجاح البرنامج واستمراره رغم الظروف». يرى صاحب ديوان «راقصيني قليلاً» أنّه «عموماً مرّت عشرُ سِمان من عمر البرنامج، ونأمل بعشرٍ أُخر نستطيع خلالها توسيع مروحة الضيوف والإطلّالة على تجارب جديدة على مساحة الوطن العربي. وبالفعل لدينا في الحلقات المقبلة ضيوف من لبنان، سوريا، فلسطين، الأردن، مصر، العراق، الجزائر، المغرب، تونس، عُمان والكويت». ويعبّر وهبي عن اعتقاده بأنّ «بيت القصيد» هو «برنامج الحوار الثقافي العربي الوحيد الذي لا يزال يستضيف شخصيات من كل العالم العربي وليس فقط من بلد واحد أو من منطقة واحدة مثل المشرق أو المغرب أو الخليج».

**«بيت القصيد»: اليوم السبت ـ الساعة التاسعة مساءً على «الميادين»**

# المفكرة

### مؤتمر التجديد والاجتهاد الفكري

■ برعاية الأمين العام لحزب الله السيد حسن نصر الله، يُنظم «معهد المعارف الحكمية للدراسات الدينية والفلسفية» المؤتمر الخامس للتجديد والاجتهاد الفكري في «مركز الإمام الخميني» (طريق المطار)، تحت عنوان «أطروحة الثورة الإسلامية: مفاهيمها ونطاق اشتغالاتها». يُفتتح المؤتمر في 28 حزيران (يونيو) الحالي بكلمة الجهة المنظمة تليها محاضرة لرئيس كتلة الوفاء للمقاومة النائب محمد رعد (الصورة)، قبل أن يُختتم هذا النهار بحوار مفتوح مع الإعلاميين والحضور. تبدأ أعمال المؤتمر في 29 حزيران (س: 9:15) وتتوزّع أعماله على ثلاثة محاور رئيسية. يبحث الأوّل «أطروحة الثورة الإسلامية ومرجعياتها» بإدارة الإعلامية ليلى مزبودي، فيما يعالج الثاني «نطاق أطروحة الثورة وتجلياتها» بإدارة الإعلامية بثينة عليق. أما المحور الثالث والأخير، فيُخصّص لدراسة «تأثيرات أطروحة الثورة الإسلامية في خارج الجمهورية وداخلها» بإدارة ميرم ميرزاده. ستحاضر في جلسات المؤتمر مجموعة من الأكاديميين والباحثين الإسلاميين، من بينهم الشيخ صادق النابلسي وعبد الحليم فضل الله (لبنان)، أياد الأرناؤوطي والشيخ عباس شمس الدين (العراق)، الشيخ حبيب الله بابائي ورضا غلامي (إيران).

وينتهي الحدث بإصدار بيان ختامي ومجموعة من التوصيات.

**«مؤتمر التجديد والاجتهاد الفكري»: الثلاثاء والأربعاء 28 و29 حزيران ـ مركز الإمام الخميني (طريق المطار). للاستعلام: 76/611266**

### «أهلية بمحلية» مع سينتيا كرم

■ بعد انقطاع عن الجمهور بسبب انتشار وباء كورونا والأحداث التي ألّمت بلبنان في الفترة الأخيرة، تستأنف سينتيا كرم (الصورة) إحياء الحفلات. هكذا، تلتقي الفنانة اللبنانية الجمهور، اليوم السبت، في «ساحة الميدان» في حمّانا، حيث تقدّم سهرة بعنوان «أهلية بمحلية»، من تنظيم «بيت الفنان ـ حمّانا» وتهدف إلى «نشر الفرحة والأمل بغدٍ أفضل للبنان». ترافق سينتيا كرم فرقة موسيقية مؤلفة من العازفين: أحمد الخطيب (إيقاع)، أيمن سليمان (درامز)، سام دبول (قانون)، ضياء حمزة (كيبورد وهارمونيكا) و شادي الأحمدية (باص). برنامج الحفلة يتنوع بين أغانٍ لبنانية

وعربية وفرنسية وإنكليزية، ضمن ريبيرتوار يمزج بين الروك والجاز والفانك. أما ضيف الشرف، فسيكون الفنان برونو طبال.

**حفلة «أهلية بمحلية»: اليوم السبت ـ س: 21:00 ـ ساحة الميدان (حمّانا). الدعوة عامة ومجانية.**

### 130 عاماً على ولادة «فنّان الشعب»

■ تصادف هذه السنة الذكرى الـ 130 لولادة سيّد درويش (1892 ـ 1923/ الصورة). في هذه المناسبة، يوجّه «مترو المدينة» تحيّة إلى «فنّان الشعب»، ضمن حفلة في الثامن من تموز (يوليو) المقبل. تحيي السهرة المرتقبة مجموعة من الفنانين اللبنانيين الذين سيحتفون بالفنان الإسكندراني عبر مختارات من أشهر أعماله التي طبعت ذاكرة المستمع العربي، وهم: ساندي شمعون (غناء)، ياسمينا فايد (غناء)، زياد الأحمدية (غناء وعود)، فراس عنداري (غناء وعود)، فرح قدّور (بزق)، ضياء حمزة: (هارمونيكا وأكورديون)، مازن ملاعب (إيقاع) وأيمن سليمان (إيقاع).

**«130 سنة سيّد درويش»: الجمعة 8 تموز. س: 21:00 . «مترو المدينة» (الحمرا ـ بيروت). للاستعلام: 76/309363**

### ذكرى مصطفى شمران

■ مصطفى شمران (الصورة) شخصية إيرانية ثورية. تبوّأ منصب أول وزير دفاع إيراني بعد الثورة الإسلامية عام 1979. وكان شمران قبل قيام الثورة أحد أهم مساعدي السيد موسى الصدر في لبنان ومن المؤسسين لـ «حركة المحرومين» اللبنانية وجناحها العسكري «أفواج المقاومة اللبنانية»، والتي تعرف اليوم بإسم حركة أمل. في مناسبة ذكرى استشهاد مصطفى شمران (21 حزيران 1981)، يقيم «مركز شيراز للترجمة والنشر والإنتاج الفني»، في 22 تموز (يوليو) المقبل في «مكتبة فيلوسوفيا» في حارة حريك، احتفال توقيع وإطلاق الإصدارات الثلاثة الأولى للمركز وهي: «بلا حدود» الذي يتناول سيرة حياة الشهيد شمران بأسلوب وسياق جديدين، رواية «بستان الفوانيس» وديوان «ظل القميص الأبيض». يحضر اللقاء المترجمان والكاتبان محمد علي بيضون ومريم ميرزادة.

**توقيع وإطلاق إصدارات «مركز شيراز»: الأربعاء 22 تموز ـ س: 18:00 ـ مكتبة فيلوسوفيا (حارة حريك ـ ضاحية بيروت الجنوبية).**

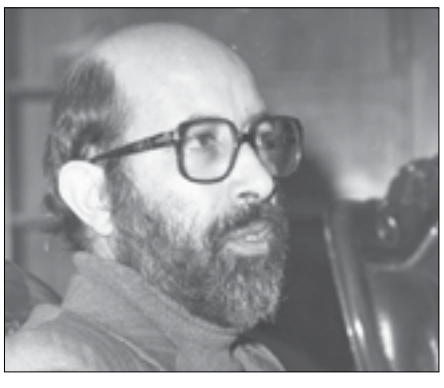

الأخبار
al-akhbar
صادرة عن شركة أخبار بيروت

■ رئيس التحرير
ابراهيم الأمين

■ مدير التحرير المسؤول
وفيق قانصوه

■ مجلس التحرير
أمل الأندري
محمد وهبة
وليد شرارة
دعاء سويدان
جمال غصن
حسين سمور

■ المدير الفني
صلاح الموسى

■ المكاتب
بيروت ـ فردان ـ شارع دونان ـ سنتر كونكورد الطابق الثامن
■ تلفاكس: 01759500 01759597
■ ص.ب 113/5963

/AlakhbarNews
@AlakhbarNews
/alakhbarnewspaper

■ الإعلانات
الوكيل الحصري 01/759500 ads@al-akhbar.com
■ التوزيع
شركة الأوائل
15ـ 01/ 666314 ـ 03 / 828381
■ الموقع الالكتروني
www.al-akhbar.com

الأخبار
al-akhbar

السبت 25 حزيران 2022
العدد 4663 السنة السادسة عشرة
Samedi 25 Juin 2022 nº 4663 16ème année

# كلمات

ملحق
أسبوعي

www.al-akhbar.com

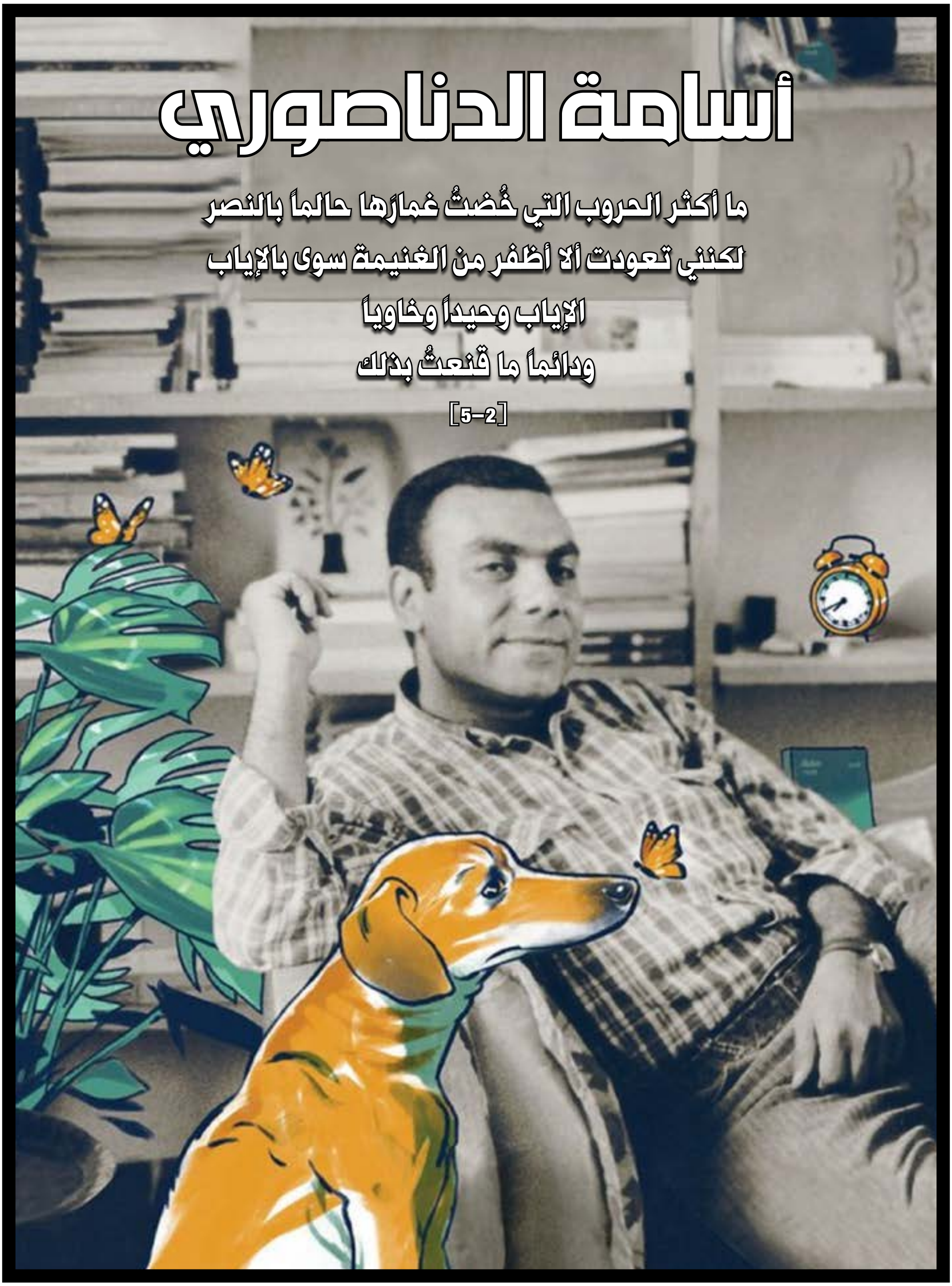


غلاف كتاب أسامة الدناصوري «كلبي الحبيب... كلبي الهرم» الذي أعيد طبعه أخيراً في القاهرة بتصميم محمد صلاح

ملف

## «كلبي الهرم... كلبي الحبيب» بطبعة جديدة في القاهرة

# أسامة الدناصوري... الكتابة شفاءً للروح

يعدّ الكاتب المصري اسامة الدناصوري (1960 ــ 2007) احد ابرز شعراء قصيدة النثر التسعينية، مع صديقه المقرب علاء خالد. اسهم في تكوين شكل اخر لقصيدة النثر، مغاير للشكل الساند لدى الاجيال السابقة، اي جيلَي السبعينيات والثمانينيات، رغم انتمائهما عمرياً إلى جيل الثمانينيات. نشر الدناصوري ثلاثة دواوين نثر هي: «حراشف الجهم» (1991)، و«مثل ذئب أعمى» (1996) و«عين سارحة وعين مندهشة» (2003). إلى جانب ديوان عامي يتيم هو «على هيئة واحد شبهي» (2001). لكنّ عمله الاخير «كلبي الهرم... كلبي الحبيب» (2007) الذي صدر اخيراً بطبعة جديدة عن «دار ديوان» في القاهرة، يعدّ كتاباً عابراً للجنس الادبي. لم يكتف الدناصوري أو «اوس» ــ كما كان اصدقاؤه ينادونه ــ بكتابة الشعر بل حاول التمرد عليه بنصوص ذاتية عن بلده وعنه وعن حبيباته... في مناسبة إعادة إصدار طبعة جديدة من كتابه، نضيء على مسيرة هذا الكاتب الاستثنائي بمساهمات من اصدقائه ورفاقه.

القاهرة ــ **مهند عبد العظيم**

لم يحظ أسامة الدناصوري بتقييم حقيقي لأعماله. تقييمه جاء بصورتين كلاهما سيء: إمّا المغالاة أو الإجحاف. استمرت هذه الحالة حتى طالت كتابه الأخير، وكوّنت حوله آراء قطعية لا علاقة لها بالأدب. لم ينتبه أحد إلى أنّ ما فعله في كتابه الأخير «كلبي الهرم... كلبي الحبيب» (دار ميريت ـ 2007)، الذي أعيد طبعه أخيراً عن

> بدأ بالعامية في جامعة الإسماعيلية، وكان فتاها وشاعرها الأول، قبل أن ينتقل إلى الإسكندرية ويكتب قصيدة النثر

«دار ديوان» في القاهرة، كان حدثاً يستحق الالتفات إليه وتقييمه بموضوعية. لم تكن رواية كما كتب على غلاف الطبعة الأولى، بل كتابة عابرة للجنس الأدبي المتعارف عليه وقتها. كتابة من أجل الكتابة، لها بذرة نمت بمرور الوقت. كانت هذه البذرة نصوصه النثرية عن الطفولة والنشأة في مدينة «دسوق» (شمال مصر) وعن أصدقائه القدامى.

نمت هذه البذرة بمحاذاة بذرة أخرى شكّلت ديوانه الأخير «عين سارحة وعين مندهشة» (2003) الذي غلب عليه بناء مشهدية للسرد الحرّ والقص، ونبرة قاص أكثر منها نبرة شاعر. نمت هذه البذور لتكوين شجرة يستظل أسفلها، بعيداً عن المرض. للمرة الأولى، لا يستظل أسفلها كي يرسم بورتريهات، بل ليكتب عن علاقاته بالرغبة والمرض (أصيب بالفشل الكلوي منذ صغره) والحب والشعر، وزهوه بنفسه وبالكتابة عنها. كان كتابه الأخير من أجل نفسه لا من أجل أصدقائه، أو كما قال في ديوانه «عين سارحة وعين مندهشة»: «إن شئتم الصدق فأنا أكتب من أجل نفسي».

بدأ شعر الدناصوري بسبب قصة حب فاشلة مع ممرضة، كانت تشرف على علاجه في مستشفى عام في الإسكندرية في منتصف الثمانينيات. لم ينحصر شعر أسامة بهذه الحالة فقط، بل راح يتبدل الأربعة، كان يتمرد دوماً لا من أجل أن يظهر بشكل مختلف، بل كانت تلك محاولة للتعايش مع ألم الحياة نفسها. في دراسة بعنوان «رسالة النقد الإنكليزي الاجتماعية ـ أكسفورد 1890» من تحقيق كريس بالديك، يورد أستاذ الأدب الإنكليزي في «جامعة أكسفورد» جورج غوردن أنّ خروج إنكلترا من مرض تحكّم الراسمالية بكلّ شيء يعتمد اعتماداً كلياً على الأدب. وكأن اعتماد غوردن مبنياً على ما يتركه الأدب والدين على أرواحنا، وكيف نتعامل مع الأزمات عن طريقهما. كتب غوردن واصفاً الأدب الإنكليزي: «إنكلترا مريضة وعلى الأدب الإنكليزي أن ينقذها. وبما أنّ الكنائس قد أخفقت والعلاجات الاجتماعية بطيئة التأثير، فإن للأدب الإنكليزي وظيفةً ثلاثيةً وهي كما أفترضُ أن يبهجنا ويثقّفنا، وكذلك وقبل أي شيء أن يشفي أرواحنا ويشفي الدولة». من خلال هذه النظرية، قد نقترب من السبب الذي كان أسامة يكتب لأجله. لقد كتب من أجل أن يشفي روحه، لا بسبب الغرق السوداوي كما يتصوّر بعضهم، بل من أجل الشفاء من ورطة الحياة نفسها.

ورطة الحياة التي كان المرض جزءاً منها. وهذا ما حققه بالفعل في «كلبي الهرم... كلبي الحبيب»، رغم الحالة «الفيتشية» التي أحاطت به، هل حان الوقت لنعطي المركزية للكتابة والشعر لا المرض والمأساة؟

### مفترقات لغوية

مرّت لغة أسامة بمراحل كثيرة بدءاً من الكتابة بالعامية ثم الفصحى وصولاً إلى النثر. من مكتبته، تبقى دواوين شعراء كثر، منهم صلاح جاهين الذي كتب أسامة رباعيّاته بخط يده، وفؤاد حدّاد، ومن جيله والجيل الأصغر أيضاً، ومن الأجناس الأدبية الأخرى «ألف ليلة وليلة»، وكتب لنجيب محفوظ، ويحيى الطاهر عبدالله، ومحمد البساطي ومُعظم كتب محمد المخزنجي. مكتبة أسامة لها حكاية طريفة في تكوينها: عندما تخرّج من الكلية، شعر بأنه يمثّل عبئاً على أبيه لأنه يحصل منه على مصروف شهري، فطلب منه أن يجد له عملاً. تنقّل بين مهن ووظائف عدة من السباكة والإشراف على مزرعة دواجن، وأخيراً إلى العمل مع صديق له في مجال لعب وكتب الأطفال. ولحسن الحظ، كان مكان العمل يقع أسفل «قصر ثقافة الحرية» في الإسكندرية، وهو كان «مزاجنجي» لا يحبّ العمل، حتى إنّه كتب نصاً بعنوان «أنا لا أحب العمل» (مسوّدة لم تكتمل)، لكنّه استمرّ لأنه اكتشف دهليزاً يفضي إلى كنز ثمين على حدّ وصفه في مسوّدة هذا النص. كان الكنز مخزّن كتب تهديها وزارة الثقافة إلى الشرطة، ويتم تخزينها هناك. هكذا، كل يوم عند انتهاء دوامه في العمل، كان يأخذ «لفة من الكتب إلى المنزل» وصفها بالكنز لأنها مكّنته من الحصول على دواوين نادرة للمتنبي وأبي تمام والبحتري. هذه المكتبة أسهمت في تكوين لغة أخرى له، إذ لجأ في شعره إلى ألفاظ تنتمي إلى الشعر العباسي. يظهر هذا بوضوح في ديوانه الأول «حراشف الجهم» (1991). الكتابة التي تلت رحيل أسامة، قد تكون الكبيرة، التي تقبض على المستمع أو القارئ وتثبّته، لكي يكون كله آذاناً صاغية». وفي منتصف نص الافتتاحية، يصف «أوس» ــ كما يُلقّب ــ مشهد عودته في البولو الخضراء مع صديقه الكاتب حمدي أبو جليل... سيارته أسيرة رحلاته وسخريته الدائمة. يصف مشهد العودة قائلاً: «وكنت أقاوم إعصاراً من الكلام يدوّم بصدري ورأسي، وأتردد. أنظر لحمدي وأعود للصمت. كنت أوقن أنني إن لم أتكلم، سيموت الكلام داخلي ويتعفّن. ولن أستطيع كتابته، لأنني كنت أشكّ في قدرتي على الكتابة ثانيةً». يبدأ الرّاهي برغبة عارمة في الكتابة، تحولت إلى كتابة متدفقة وسريعة. مع ذلك، كانت مُنظمة، حيث السرد ينتقل من منطقة إلى أخرى بسلاسة دفّاقة. أنجز كتابه الأخير في ثلاثة دفاتر مختلفة، ورغم هذا كان هناك نظام ما يوضح متى بدأ ومتى انتهى. بلغة الصحافة كان أسامة «أرشفجي شاطر». هناك دفاتر كاملة تضمّ أسماء مَن أعارهم كتبه وتواريخ الإعارة، وخططاً موضوعة للقراءة على المدى الطويل.

كان أسامة يرسم كهواية، رسم العديد من البورتريهات. في كل بورتريهاته، لا تلحظ شيئاً سوى أنها محاولات للهو، أو لتزجية الوقت. كل ما رسمه، لم يكن واضحاً باستثناء ثلاثة بورتريهات، منها واحد له وآخر لصديق عمره علاء خالد، والثالث لأخيه الأصغر أشرف. الملفت أن أكثر الثلاثة وضوحاً كان البورتريه الخاص به هو، كأنه يزهو بنفسه ويعلّم ملامحها ويرسمها ويكتب عنها، رغم أن حياة أسامة كلها عبارة عن مأساة أكبر من أن تختزل في مرضه. مأساة بمعنى أنها موكب موت متنقّل، إذ فقد أخاه الأصغر قبل زواجه بعامين، ثم فقد أحب الناس إليه وهو جده ثم أبيه. جده كان له الفضل الأكبر في تعليمه طريقة التدوين والأرشفة.

مع ذلك، تلمح من شعر أسامة محاولات عديدة للنجاة من الياس بالسخرية من الألم والموت، لا بتخليد المأساة بل بإخراجها من نفسه بالشعر، أو كما كتب في ديوانه «عين سارحة وعين مندهشة»: «ما أكثر الحروب التي خُضتُ غمارَها حاملاً بالنصر/ لكنني تعودت ألا أظفر من الغنيمة سوى بالإياب، الإياب وحيداً وخاوياً، ودائماً ما قنعتُ بذلك». يبدو أنّ انتصاره على المرض، لم يكن مادياً وملموساً، بل كان تأجيلاً، تتلمسه بالنظر إلى محاولات كتابة الشعر واختلافها من ديوان إلى آخر.

هذه البداية تنتهي بـ«راو يرى أنّ في الكتابة نجاة، نجاةً من الموت، من الألم. وأيضاً حتى في تعامله مع بداية دخوله عالم غسيل الكلى، يصف صلاح ـ أول ممرّض له ـ بعد اكتشافه إصابته بالفشل الكلوي بأنه: «طيب وابن جدع وفيه روح أمومة». خدع صلاح أسامة، وقال له بأنّ غرز القسطرة في فخذه هي مجرد «شكة دبوس». صدّقه أسامة ثم ألمه فخذه أثناء غرز القسطرة ليقول لصلاح: «لقد خدعتني يا صديقي». ظلّ يتذكر هذه الجملة ويضحك. وبالعودة إلى معنى مصدر «الهرم»، تجد أنّ «كلبي الهرم... كلبي الحبيب» هو الذي منع صاحبه من أن يهرم، بل ساعده في أن يخرج بكتابة تشتبك مع الجسد والمرض والحب والمكان، فيظلّ في ذاكرة أصدقائه، إنساناً زاهياً بنفسه، وحبيباً لا هرماً.

في نص «وقف حال»، يصف أسامة علاقته بالخجل والزهو، كاتباً: «بإمكاني القول إنّني في أعماقي كنت ممتلئاً زهواً، بينما في سلوكي الظاهر كنتُ أبالغ في كوني خجولاً». كان أسامة الدناصوري يقرأ شعره بزهو يأتي من رجل واثق بأن ما يقدمه حقيقي لا يشبه إلا نفسه... كان زهواً بالكتابة لا المرض.

نمرد اسامة الدناصوري على الشكل البنائي لقصيدة النثر

## مقتطفات

### افراح البيرة

إلى علاء خالد
لكَم هسيسُ النار في رئتيّ
والرائحةُ الكريهة لغَابةٍ صغيرة تحترق
ولي:
شبَقٌ ما جنّ يَجْدِف بي دائماً نحو دمكم.

صديقي الذي ظلّ طوال عمره متخفياً وراء قامته
والذي أطلق على نفسه «الفحل الرومانتيكي»
إمعاناً في التخفّي
صارحنا أخيراً
أنّ له أختاً سرّية لم يعلم بها أبواه
وأنه جنيٌّ فاسقٌ وغريبٌ لا يقارن
وبكى حين تذكر كيف كان الله يجرّه من قفاه، عنوةً
.. كل جمعة
.. إلى الحلاق
ثم أخذ يدبّج النكات اللاذعة للنيل منه.
واكتشفنا نحن:
أنه طوال الوقت كان نبياً
لكنه جاهد كثيراً
في إخفاء علاقة شاذة
كانت تربطه بالرب
صديقي الطيب:
سنقيم قريباً أفراح البيرة
وسنُسمعني كلاماً كثيراً عن أفخاذ النساء
وأثدائهن المُمتلئة.

كان يزورني في نُزُلي الدائم بالمستشفى
وفي طلعته:
ينطلق بولي المحتبس
وتهدأ كليتاي.
لم أره مطلقاً بلباسه العسكري.
جاءت مرةً معه وذهبت
وحدثني أنها بكت كثيراً ذلك اليوم.
وجدتُ مؤخراً
أنني كنت أحبه هو
وأنني كنت أقشّر له البيضة كل صباح
لكنها كانت أوسع من فمه
وأقسى من هشاشة أسنانه.
ولأنه أخفى عليّ جوعه.
ظل جوفه فارغاً طوال الوقت
... إلا منّي.

(آب/ أغسطس 1990 . من ديوان «مثل ذئب أعمى»)

### بصدق

(نشرت في مجلّد الأعمال الكاملة ـ فصل «نصوص شعرية»)

أقول لكِ بصدقٍ:
لقد مللتُ تماماً كوني دبّكِ القطني الأبيض السمين
والذي تأخذينه عندما تنامين في أحضانك
حالمة بالجرابيع، والشواذ، وأعضاء الحمير.
لمن هذه الابتسامة أيتها الساقطة؟
ألا تخجلين!
انتبهي لهذا الخرطوم الأسود الهائل
الذي يتدلّى من أفكارك الآن.
اشفطي أفكارك اللعينة
وافلتيني
لأعود إلى غابتي البيضاء
أخمش القشرة الثلجية بأظافر
بحثاً عن سمكة صغيرة أسدّ بها رمقي.
كنت أحلمُ بأن التفّ كلبلابة حول فرعكِ.
أين هو فرعك الآن؟
أيكون هو ذاك الذي يتوارى تماماً
وسط هذه الغابة المتشابكة من اللوف، والحامول، والهالوك
وكلّ متسلق لعين؟
ثم لمن هذه التينة العجفاء المبقورة
التي تشغي فيها الديدان؟
أهذا هو ميسمك النابض الغفل؟
ذلك الذي كنت أتوق لأن أشمّ رحيقه!
افلتيني أرجوكِ
لأفرّ بعيداً عن هذه الرائحة النتنة.
لكنني أعلمُ
أنها ستظل تطاردني إلى آخر الدنيا
طافحة من جوفي كذكرى اليمة
لجريمة دُبّرتْ بعناية عبر سنين
كنتُ فيها الجثة، والمسرح، والأداة،
والمُتسبِّب، في النهاية، على كل ما جرى.

### انثى من نور

لا تنعدم الحياة بمجرد النوم أو الموت، إذ تبقى الصورة بكل تنوعاتها الحضورية؛ كائن دمعي، يحتاج الوجود له لكي يتحرر من عبء الأشكال المستقرة، وأن تتأمل نفسك كصورة معناه أنك ستعيش خالداً.

تدفعنا الحاجة إلى الحياة للتخلص منها، نريد أن نطير، لا نريد أن نمشي أو نسبح، فالطيران لا يشكل عبئاً أرضياً.. ما الذي في السماء؟ هذا هو حلم الصورة، الصورة تحلم أن تعبر بصاحبها إلى جنته، إلى خموله، إلى التماثل مع لغة ليس لها حضور.

الصورة أنثى من نور لا تشتتها سيرتها الذاتية الاجتماعية، إنها صورة مكان محدد بحجم لهب عود كبريت، واللهب وجود غير مشتعل، إنه فكرة عن الذات حين تنام مستلقية على السرير، أمامها نافذة، وخارج النافذة يوجد العالم... أريد أن أرسم صوتي... هكذا تقول الروح، لأنها في لحظة ما جعلت وعاءها - الجسد - مُعلناً:
أنادي
وصوتي ما ينسمع
خلتني أعشق الغنا والدمع
ما الذي تريده اللغة غير كونها أداة اتصال، وإلامَ تهدف اللقطة الثابتة إذا نجحت في قول شيء عنا، لم نكن ندركه سابقاً.

الصورة الرسمية لنا في الأوراق الرسمية محددة الوظيفة، لا يمكن أن أضع صورة في جواز السفر وأنا أفكر أو ألعب، فالمجتمع يريد التعرف عليّ بشكل صارم. أما صورنا الأخرى فهي لنا.

## من سيأخذ عزائي*

صحوت الآن من النوم ـ لم أنم أصلاً ـ وعدت ثانية إلى غرفتي. كنت قد قست الضغط قبل أن أذهب. كان 150100. لم يكن في الواقع مرتفعاً جداً، لكنه بالنسبة إلي الآن يعتبر «في السما». إن ضغطي في الأشهر الأخيرة غالباً ما يكون 10070. وهذا ما يرعبني خوفاً من توقف العملية في ذراعي. والدخول في الدوامة السوداء إياها.

وأنا جالس مكاني على الكنبة، أستطيع أن أمدّ بصري في خطّ مستقيم، فيعبر أولاً باب غرفتي، ثم عرض الصالة، ثم فراغاً في الحائط بحجم باب يصبّ في الطرقة، ثم أخيراً حائط الحمام المواجه حيث مفتاح النور. باب الحمام في المواجهة بجوار الحائط، باب المطبخ على اليمين، وعلى اليسار باب غرفة النوم.

قمت من مكاني قاصداً السرير. أطفأت النور ودلفت إلى الصالة. الشقة تغرق في عتمة كاملة. خطوت خطوة بطيئة، وخطوة أبطأ، ثم أخذتُ رأسي تدور وتدور. كنت على وشك السقوط على وجهي، قلت: أتنبه، سأموت، وجلست مكاني مفترشاً الأرض.

كنت فيما مضى أنطرح على ظهري دائخاً ومنتشياً عقب سيجارة حشيش، وضغط منخفض. أما الآن، فأنا أشعر برهبة حقيقية. لا لن أموت الآن. ساقاوم الموت بكل ما أستطيع. بعد قليل زحفت على الأرض حتى وصلت إلى الحائط المقابل، استندت عليه ووقفت، وأضأت نور الطرقة، ثم أطفأته سريعاً بعد أن حدّدت طريقي إلى السرير. خطوتان وكنت ممدّداً على ظهري في مكاني المعتاد بجوار سهير.

هاجمني الإحساس بقدوم الموت مرة أخرى. ذلك الهاجس القوي الذي احتلّني منذ أول الليل، وحاولت الفكاك منه طوال الوقت، ويبدو أنني لم أستطع.

برقت في ذهني القائمة التي أعددتها منذ قليل وبها الأسماء المرشحة لأخذ عزائي.

حاولت تحريك يديّ، ثم ساقيّ، لم أستطع. كانت هناك تنميلة باردة تزحف في الأطراف متجهة إلى الداخل.

قلت: أهكذا يكون؟ ثم رأيت نادية (رفيقتي في الغسيل التي تنام دائماً في السرير المجاور). كانت تسبح في سماء الغرفة بوجه شاحب وابتسامة صافية، وتشير إليّ أن أتبعها، فيما هي تتجه نحو باب الغرفة.

قلت: إذاً ماتت نادية.

وفجأة تذكرت أنني لم أكتب اسم سهير مع باقي الأسماء في القائمة، «يا خبر»، كان يجب أن يكون اسمها قبل الجميع.

«اذهبي أنتِ يا نادية الآن».

* سهير.. سهير.. سهير

تململت قليلاً ثم زامتْ وهي تدير رأسها.

* معلهش يا سهير صحّيتك، بس ممكن والنبي تروحي تجيبيلي الأجندة الخضرا من الأوضة التانية؟

* ..... وها تولّع النور؟

(صدمني السؤال).

* لا يا مامّا ماتشغليش بالك. نامي انتي. تصبحي على خير.

وها أنا «زيّ الجنّ» أكتب في نفس مكاني المعتاد على الكنبة. الكنبة التي قضيت عليها عمري كله.

هي وكنبات أخرى.

* من كتاب «كلبي الهرم... كلبي الحبيب»

ملف

# أمل ضعيف لا يفنى

**هيثم الوردانيّ***

في أيامه الأخيرة، كان أسامة الدناصوري يزور بيوت أحبائه وأصدقائه، ليقرأ لهم ما تيسّر من فصول كتابه الجديد بمجرد كتابتها. كان يجلس وسطهم ويقرأ وهو مندهش مما يكتبه. وما يكتبه

> كتب عن مرضه لأول مرة، كتابةً فكهة وساخرة إلى أقصى حد

كان بالفعل مثيراً للدهشة، ليس له وحده فحسب، بل لمن يسمعه أيضاً. إذ من كان يصدق أن الدناصوري يمكن أن يعود إلى الحياة عبر الكتابة، بعدما كان في عداد الموتى بسبب التدهور الحادّ في حالته الصحية؟ ومن كان يصدق أن الشاعر الجادّ الذي هجره الشعر منذ سنوات، سيدخل الآن بمنتهى الرشاقة إلى «أرض النثر»، ليكتب عن مرضه لأول مرة، كتابةً فكهة وساخرة إلى أقصى حد؟ الفصول التي كان يقرأها، وضمّها بعد ذلك كتابه الأخير «كلبي الهرم... كلبي الحبيب» (ميريت 2007 ـ ديوان2021)، هي شذرات من حياته التي أنفق معظم أيامها بين ردهات المستشفيات، وعلى ماكينات الديلزة. كل شذرة انقلبت بفعل معجزة الكتابة إلى فصل مدهش عن فن البهجة رغم المرض العضال. إنها بهجة غريبة تلك التي تتفتح وسط الأنابيب والقساطر والبول والدماء وكلام الأطباء ورائحة المنظفات القوية. أصحاب هذه البهجة ليسوا ضحايا، ولم يفقدوا يوماً روح دعابتهم. يعيشون أيامهم في أخوية المرض بأمل ضعيف، لكنه لا يفنى أبداً.

في أيامه الأخيرة كان يزور بيوت أحبائه وأصدقائه، ليقرأ لهم ما تيسّر من فصول كتابه الجديد

ينتهي هذا الكتاب المدهش والمؤلم بفصل يُدعى «آخر فصل»، وبه كان الراوي يتمنى أن يكتمل كتابه، بعدما قال ما رغب في قوله بخصوص سيرة مرضه. غير أن الكتاب يعود ويبدأ من جديد بعد نهايته. إذ نجد بعد هذا الفصل فصلين مجموعين تحت اسم «بمثابة ذيل»، الأول عنوانه «داليا 2»، والثاني عنوانه «سبعة أيام». كان الكتاب لا يرغب بعد في الانتهاء، ولا يزال لديه ما يقوله. فصل «داليا 2» هو مكالمة تليفونية طويلة للراوي مع ممرضته القريبة من قلبه داليا، وهي مساعدة «مركز الهدى لغسيل الكلى» الذي تردد عليه ثماني سنوات كاملة. أما فصل «سبعة أيام»، فهو يوميات موجزة لأسبوع حالك من حياة الراوي، قاوم فيه المرض لآخر لحظة.

في الكتابة التي تلي النهاية، أي في هذين الفصلين الأخيرين، قد يريد الكتاب أن ينبّهنا إلى أن الأمل الضعيف عنيد، يولد من جديد بعد كل خيبة. إرنست بلوخ لم يملّ يوماً من التأكيد على أن أي أمل حقيقي يتأسس دائماً على إمكانية خيبته، ولا ينفيها. فالأمل ليس مجرد تفاؤل أو تمنٍّ، قد يخيب وقد يتحقق، وإنما هو مشروع لا يكتمل أبداً، ولا يُشبَع باستلام معجزة، حتى لو كانت معجزة الكتابة. وهذا ما يكشف عنه هذان الفصلان اللذان يبدآن بعدما كنا ظننا أن الرواية قد اكتملت. ففيهما يصل الراوي إلى حائط سدّ بعدما انسدّت الوصلة الداخلية، التي يمكن توصيل خراطيم ماكينة الديلزة إلى جسده عبرها. واحتمال نجاح إجراء وصلة أخرى هو احتمال ضئيل. أي أن عملية الغسيل التي يعيش عليها الراوي أصبحت مهددة، وحياته في خطر داهم. لكنه يقاوم. يتشاجر مع المرض المستهتر ويطلب منه إرجاع دمه من الماكينة من دون إكمال الغسيل. يجد مركز غسيل آخر بناء على نصيحة داليا، ويبدأ في تنظيم حياته على إيقاع المركز الجديد، بل وبعيد التفكير في إمكانية زرع الكلى رغم فشلها في السابق. في هذين الفصلين المؤثرين، لا توجد كتابة فرحة بنفسها، وإنما كتابة تعمل بجد ودأب على مشروع الأمل. لو كان الكتاب انتهى بالفصل المسمّى «آخر فصل»، مثلما تمنّى الكاتب، لكان توقف عند كونه قصة سعيدة لكاتب يجد خلاصه في الكتابة. لكن جمال الكتاب الحقيقي يكمن في أنه لا ينتهي بكاتب أنجز رواية، وإنما ينتهي بكاتب لا يزال يدور في قلب ورطته. نودّعه وهو يبحث عن مخرج. أسامة لم ينجُ كما نعرف، ومات بعد كتابة فصل «سبعة أيام» بأقل من شهر. وبالرغم من ذلك، فإن في كتابه أملاً يخصّنا نحن الذين بقينا بعدما رحل الكاتب. يخصنا لأنّنا كنا نقول لأنفسنا منذ البداية إن أمل الشفاء من ذلك المرض هو أمل خائب. نحن من بقينا، علينا أن نتعلم أننا كنا على خطأ في فهمنا ذاك لمعنى الأمل. علينا أن نتعلم أملاً آخر أودعه الكاتب في روايته، ولن نحسن قراءتها من دون أن نفعل ذلك. ليس هذا بأمل في الشفاء، ولا أمل في الخلاص. هذان الفصلان اللذان يأتيان بعد النهاية قد يعلّماننا أن الأمل الحقيقي هو دائماً أمل خائب وضعيف. وهذا هو مصدر قوته، لأنه لا يترك نفسه لوهم التحقق، ولا حتى التحقق الجمالي. الأمل الحقيقي هو عمل يأتي بعدما كنّا نظن أن العمل قد اكتمل، ويندفع من وراء ظهر ما نكتبه أو نقرأه بعناد، مصرًا على رفض الانصياع لما هو قائم، مهما بدا ذلك عبثياً. إنه أمل عدميّ ينضج ببطء على نار خيبته وفشله. هذا الأمل العدميّ الذي يتقنه «المرضى»، هو مباهجهم التي لا يعرف الأصحاء عنها شيئاً، وهو ما يمكننا أن نتعلمه من كتاب أسامة الدناصوري. وما أحوجنا إليه اليوم في زمن فيه «مصروف الأمل مضغوط».

* كاتب مصري مقيم في برلين

# كتابة جديدة وحديثة بمقاييس هذا الزمن

**محمود عزت***

وسط سيل الإصدارات الروائية والشعرية التي تحفل غالبيتها بالفخر الذكوري والأدبي، لم يكن معتاداً وقتها أن تقرأ كتاباً يتحدث فيه شاعر قصيدة نثر عتيد عن مرضه وإخفاقاته المتعددة وكلبه الهرم الذي بهدهده في شيخوخته الإجبارية بمقطع هو أرقّ ما قد تتذكره يوماً حين تتعرض لإخفاق مماثل. حين صدر «كلبي الهرم... كلبي الحبيب»، كان هناك هوس بصيغة الأعلى مبيعاً. أعتقد وقتها، كان باولو كويلو قد وصلت سحابته الهائلة فوق القاهرة، وصدرت محلياً كتب عدة يتناقل الأدباء أخبار طبعاتها المتتالية، بحسد وعجب، منها الغثّ ومنها السمين، لم يكن لأسامة الدناصوري أي أعمال منشورة ذائعة. دواوينه كنت تجدها بشقّ الأنفس بعد أن تسمع عنه من أحد معارفك المهتمّين بقصيدة النثر والتاريخ لها.

في هذا التوقيت، وقع في يدي الكتاب فور صدوره. كنت قد قابلت أسامة مرتين في «دار ميريت» لأنّه كان أحد أعضاء لجنة قراءة الشعر، وكان انطباعي في المرتين أنه بالتأكيد شاعر يفهم ما يتحدث عنه، لكن حين قرأت كتابه، لم أستطع أن أكبح شعوراً عميقاً بالأخوّة تجاهه. يستمر هذا الشعور إلى الآن في كل مرة أفتح فيها كتابه لأقرأ مقطعاً منه عن هذه الذكرى أو تلك. تكمن جاذبية كتاب أسامة في هذه الراحة التي يغلّفك بها الكتاب أثناء قراءة أصعب ذكرياته اليومية والمرضية، التي تنبع من قبوله العميق لحقيقة الأشياء وطبيعة القدر، بتذمّر مازح وأسى رقيق، وهو موقف خليق أن يبث في قلبك عزاءً طيباً عن همومك الشخصية، التي لا تقارن طبعاً بما عاناه أسامة. راحة أحبّ أن أصفها بوحي من الكتاب أنها تشبه انسياب البول بعد انحساره الأليم طويلاً.

لفترة طويلة، اختفى الكتاب. كان الأصدقاء يسألون عنه وعن طبعاته النادرة، ولم تتوافر نسخة «بي. دي. إف» بسهولة. في السنوات القليلة الأخيرة، طلب نسختي عدة أصدقاء، ربط بعضهم ذلك بصعود موضة الكتب غير الروائية (نون فيكشن) لقوائم الأعلى مبيعاً، لكنّ لديّ تفسيراً آخر. هناك اكتشاف جديد لكتاب أسامة يتعلق بكونه كتابةً جديدةً وحديثةً بمقاييس هذا الزمن، لم تنل حقها وقت نشرها، والآن لاقت قارئها المقدّر. بعد سنوات طويلة، يعود كتاب ذاتي وغير «شعبي» ليصدر قائمة مبيعات دار النشر التي قررت إعادة طباعته بغلاف بديع لمحمد صلاح. هذا شيء كان ليعجب أسامة كثيراً، وهو شاعر قلّما كان مهتماً برواج شعره، على حساب غرابته وكثافته وحريته. التفكير في مصير الكتاب نفسه يبث في النفس عزاءً كبيراً، عن كتب تنال تقديرها المستحق في زمن آخر، وكاتب يقرر أن «ينساب» سهلاً وبسيطاً على خلاف أسلوبه المعتاد بكثافته وغرابته، فتحقق كتابته فنية جديدة، يشار إليها أحياناً كمعيار لما ينبغي أن تكون عليه الكتب والكتابة.

* كاتب مصري

## «سلة الموت والحياة» في المستشفى

# قبل النهاية بقليل

**علاء خالد***

أتذكر الأيام الأخيرة من كانون الأول (ديسمبر) عام 2006.

كنت على اتصال دائم بأسامة، وتواعدنا أن نلتقي في بداية عام 2007. كان يشعر ببعض التعب، ويشدد أن نلتقي قريباً. وقبلها بأشهر، كانت هناك محاولات كثيرة حول كتابه الأخير، فصول وراء فصول، وحوارات حول هذا الشكل من الكتابة، وفرحه بإنجازه. الفرح الذي يقف الموت على حافته ليأكل منه، ويُؤكل منه، أيضاً.

كانت أيام موسم البيع بالنسبة للغاليري، واتفقنا أني سأكون عنده صباح يوم 1 كانون الثاني (يناير). بالفعل، صباح يوم 1 كانون الثاني 2007، وصلت إلى شقّته في «فيصل»، كان بصحبتي عبد العزيز السباعي. لم أجده، وعرفت أنّهم قد نقلوه إلى المستشفى. لا أتذكر من قابلته هناك، في هذا البيت الخاوي الذي شُحبت منه حرارة الضيافة.

ذهبت إلى المستشفى، ندخل ونخرج عليه باستمرار، وسط عائلات المرضى المستضعفين أمام قوة المرض، والموت المعلّق في جنبات المستشفى وزواياها. لم نتبادل الكلام، وسط هذا الجمهور الكبير سوى كلمات التشجيع، والنظرات المشحونة من بعيد.

أتذكر الشعور المقبض الذي كنت أخرج به في نهاية اليوم، بعد انتهاء موعد الزيارة، أتذكر مفاجآت تدهور الحالة التي كنت أسمعها من سهير، زوجته، وأنعكاسها على ملامح وجهها، وعلى شكل حركتها التي فقدت مركزها، وعلى الأرقام التي تترجمها، سواء في جهاز المناعة، وغيرها في الكلى ووظائفها، ونسبة كذا وكذا، يتحول الجسم إلى مجموعة قراءات شديدة الدلالة والتأثير.

أتذكر المقهى المجاور للمستشفى، الذي كنا نأخذ فيه نحن، أصدقاؤه، راحة من الموت. كانت هناك صورة مرسومة لأم كلثوم، غالباً لو صحّت ذاكرتي، وجدرانه التي كانت مطليّة باللون الأخضر الغامق، أو الذهبي المترب. أتذكر حواراتنا التي كانت تتنسّم رائحة الموت. بالرغم من هذه الرائحة، إلا أن الكلام أيضاً بيننا كان فيه حسّ النجاة من الموت. لذا كانت قياسات كثيرة تدور بدواخلنا وبدون أن نتصارح بها.

أتذكر أيضاً أننا سهرنا، نحن مجموعة الأصدقاء الملتفين حول سريره، في أحد هذه الأيام في أحد المطاعم في وسط البلد. كانت هناك دائرة تتكون، تفصل عنها هذه الخلية المستقلة. كان هناك شبق عارم بالحياة والموت معاً، ناكل بنهم، نشرب بنهم، ندخن بنهم، نضحك بنهم، كأن النهاية وشيكة. النهاية لا الموت، ولكن إحدى حقائق الحياة، شديدة التألق، شديدة القسوة. كان هناك من يبسط أمامنا، وفي دواخلنا، هذا الوجه الاستثنائي للنهاية والحياة معاً. كانت السهرة بضحكها وعبوسها، بفرحها وبكائها، علامات هذا الانفصال الخلوي لأحد أعضاء المجموعة.

في اليوم الثالث، نُقل أسامة إلى مستشفى آخر في وسط البلد متفرّع من «شارع محمود بسيوني». أتذكر جلسته على الكرسي في انتظار إجراءات الدخول إلى غرفته، كان صامتاً أو مذهولاً. أحسست بأنه بهذه الجلسة على الكرسي المتحرك أكثر حضوراً من وضعه وهو على السرير. انتابني بعض الأمل، مع كثيرين ممن كانوا يتردّدون عليه. كانت صورته وهو على الكرسي، بالنسبة إليّ، الصورة الرسمية للتابين. ظل تقريباً لساعتين، ندور حوله نشد من أزره، أو نراقبه من بعيد. كان هناك حرماً مقدساً مضروباً حول الكرسي، لا تقترب منه إلا بحساب، ولمدة قليلة، ثم تبتعد. المفارقة أنّه ظل هذه الفترة الطويلة هادئاً، ومطرقاً برأسه قليلاً للأرض.

مثلما تقابل نجماً صدفة، خارج قاعة العرض، في فسحة التدخين، في العرض الأول لفيلمه، أو نجماً يجلس بجوارك على الطائرة. تقول في سرك إنّه «هو»، وليس غيره. الذي يجلس على هذا الكرسي أو يدخن خارج قاعة العرض... تتوقع الموت الوشيك منح جلسته على الكرسي أبديتها ومعانها الرمزي.

> تبرز صورة الأجيال الجديدة التي تسعى إلى اقتناء كتبه، والحديث عنه

كان أسامة، هو النجم في فسحة التدخين، أو شريك المقعد المجاور في السفر، الذي لن تراه بمجرد انتهاء الفيلم، أو رحلة السفر. لكنه حتى هذه اللحظة في المستشفى، كان لا يزال «هنا» و«الآن».

أتذكّر الطابور الذي وقف خارج غرفته الزجاجية ينتظر لحظة الدخول إليه، والسلام عليه، ثم الخروج سريعاً. وقفت كغيري في الطابور، لكلّ منّا دقيقتان، أو ربما دقيقة، بناء على أوامر الطبيب. كنت قد قضيت ثلاثة أيام في القاهرة بالملابس نفسها، لأني كنت مسافراً ليوم واحد، كي اطمئن عليه وأعود مباشرة، ولكن استمررت لثلاثة أيام، بملابس تشربت العرق والتراب معاً، أقوم وأنام بها، وبدقن غير حليقة، وغيرها من إشارات التيه الوجداني. دخلت عليه، تحدثت بثقة، كي أخفي عنه جزعي، وبلهفة صوت محبوس. وعدته أنه سيشفى، تكلمت أكثر عن الثقة في الحياة، وفي القلب. وربما كنت أعني الحياة التي نغادرنا ونتمسك بأطراف ذيلها. قلت له في ما قلت إنّه سيكون بخير، وإنّ حدسي يقول هذا، وعلامة حدسي أنني فقط أشعر باطمئنان، قلت له في ما قلت، إنّني لم أقرر السفر، إلا وأنا مطمئن بأنه سيكون بخير، وبأنه سيعبر بهذه الأزمة. وقلت له في ما قلت إنّني ساتركه وأسافر

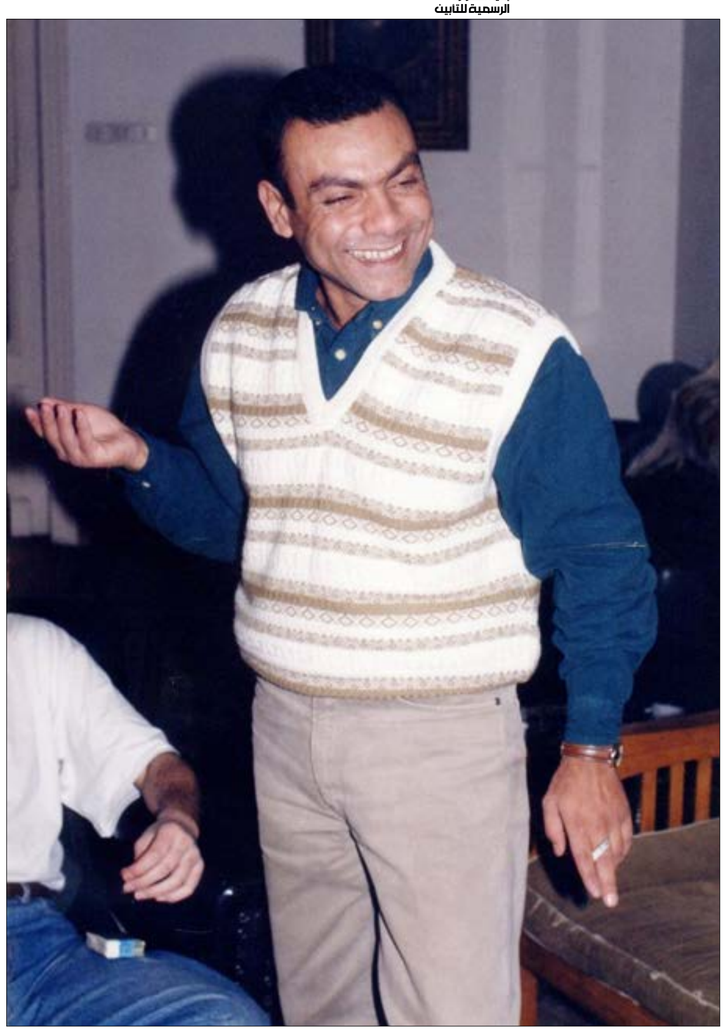
كانت صورته وهو على الكرسي، بالنسبة إليّ، الصورة الرسمية للتابين

ليومين، في رعاية هذا الشعور المطمئن. كان شعوراً مطمئناً نعم، ولكن، أيضاً، يقف الموت على حافته ليأكل منه، ويأكل هو من الموت.

كان ينظر إليّ ويبتسم بهدوء رائق، تعدى الألم، والأمل معاً، وربما تعدى الصدق. ربما كنت أكذب وأتكلم من وراء قلبي، ولكني لم أكن أعرف هذا، لأمنحه الثقة في الحياة. لم أكن أملك سوى هذا الصدق الأجوف.

أتذكر أننا سلمنا على بعضنا بالأيدي ـ أو ربما وضعت يدي فوق يده المبسوطة بسبب أنابيب المحاليل؛ كأنه عناق رمزي.

مضيت إلى الإسكندرية وعلى وعد بأني سأعود خلال يومين، على الأكثر، آتي بملابس أخرى، وهواء جديد، وبتفاؤل طازج، لنكمل رحلة المستشفى ثم عودته إلى البيت، كأننا نحتفل بالسنة الجديدة، بأثر رجعي، كما اتفقنا، ونعود بالزمن لما قبل 4 كانون الثاني 2007.

في اليوم التالي، تلقّيت مكالمة من مجاهد الطيب، باكياً ومفجوعاً، يخبرني بوفاة أسامة.

أتذكر أنني خرجت بالتليفون من الغاليري إلى الشارع لأسمع خبر الوفاة وسط ضوضاء الشارع، وسط هذا الجمع الكبير من حيوات الناس والعربات. وددت ساعتها لو أقذف بالتليفون وخبر الوفاة وسط نهر الحياة المتسارع أمامي، ليعيده إليّ، مرة أخرى، مغسولاً خالياً من الصدمة وفجيعة الفقد.

أتذكر الصورة التي نقلتها إيناس، أخته، عندما دخلت عليه قبل الوفاة مباشرة، عندها رمى بمنديل ورقي، كان قد كوّره في يده، في سلة المهملات البعيدة. ربما الكرة الورقية سقطت بعيداً عن السلة، أو دخلت فيها، وأصابت هدفاً، وخرجت روحه بعدها مباشرة.

تصنع ذاكرتي هذه الصور دائماً في هذه الأيام الأخيرة من كانون الأول، والأولى من كانون الثاني، تبرز «سلة الموت والحياة»، «سلة الأمل»، تبرز صورة المستشفى، والكرسي المتحرك، وربما كان كرسياً عادياً، وتبرز صورة سهير وحديثي معها حول أسامة، تبرز صورة إيناس أخته في شادر عزائه في عمر مكرم، تبرز صورة علاء أخيه، ووالدته، تبرز صورة كل أصدقاء أسامة الذين أحاطوه بحب ورعاية في كل حركة يتنقل بينها، حتى وصوله إلى القبر تحت الشجرة الوارفة في قريته، تبرز صورة الأجيال الجديدة التي تسعى إلى اقتناء كتبه، والحديث عنه.

قررت هذا العام، أن أتذكر أسامة ليس في يوم وفاته، لكن خلال هذه الأيام، قبل النهاية بقليل، التي كان لا يزال فيها، حياً، بيننا. الحياة في لحظاتها الملتاثة، المفتوحة على كل الاحتمالات. اللحظات التي نفردها بعدها على العديد من السنين، كي نوفي كل احتمالاتها. كل لحظة كانت تحمل كدمة في وجه الحياة والموت معاً، كل لحظة تحمل بذرة لشيء يستمر في الذاكرة ولا يغيب، إلا بغيابنا، نحن أصحاب الذكرى، وبمرور الأيام نصبح أيضاً ذكرى، فيتوالد هذا الشيء الحي، ويستمر، وينبت، ويُعمّر ذاكرة إنسانية كبيرة بهذه الكدمات الروحية للحياة والموت معاً.

* شاعر وروائي مصري

الوداع الأخير

# حسن عبدالله: إذا جاء مهدي... قولوا له إنني بانتظاره

كان ذلك في حرب تموز 2006، في اليوم الخامس إذا لم تخنّي الذاكرة. كنا قد نزحنا إلى بيت في أعلى تلة «الصيفي» في الأشرفية وهياكل بيوتنا تلوح لنا من بعيد، يرتطم بها الصاروخ، فيطير الأثاث في الجو: كنبة هنا وسرير من هناك وكفن وجهاز عروس إلى آخر أشيائنا الحميمة. اتصل بي أحد معارفي وبدا يمهد للخبر السيء، بالجُمل المعتادة: «الحجر مش أهم من البشر». أخبرني أن بيتنا قرب محلة «الإمداد» قد سوّته الطائرات بالأرض، هو وثلاثة من جيرانه. لمحت دمعة في عين أبي المريض، أردفها بجملة وحيدة «مش أسفان إلا على المكتبة». شيء، ما بداخلي كان يقول إنّ البناية لا تزال في مكانها، أخذت قراراً متهوّراً بأن أسرق مفتاح سيارة قريبي وتوجهت نحو الضاحية. كان الطيران يأخذ فترة استراحة من لحمنا وبيوتنا، فضغطت على دواسة البنزين بأقصى سرعة لأصل إلى أول بئر العبد وأرى البناية واقفة في مكانها. «أريد أن أحضر الدليل لأبي»، قلت في نفسي، والدليل ليس سوى كتاب «خطط جبل عامل» للسيد محسن الأمين، كان أبي يضعه في رفّ خاص ويخفي فيه شيئاً نقله معه في كل الحروب القديمة من المنازل المهدّمة إلى المنازل المؤقتة: ورقتين باللون الأصفر يحرص عليهما حرصه على أولاده. سحبت الكتاب وودّعت الضاحية ورجعت لأضع الكتاب بين يديه كدليل على أنّ المكتبة سالمة. حمل الكتاب كمن يحمل شتلة زيتون صغيرة في يديه وسحب الورقتين ليفردهما على الطاولة: كانت قصيدة «الدرداره» لحسن عبدالله (1944 ـ 2022) بنسختها الأولى التي صدرت في جريدة «النداء» عام 1981. من حينها بدأت علاقتي بشعر حسن عبدالله تأخذ منحى حميمياً وشخصياً أبعد مما كنت أسمعه في «أجمل الأمهات» و«من أين أدخل في الوطن» التي كنا ننصت إليها في كاسيتات مارسيل خليفة. صارت «الدرداره» رفيقتي في الحرب، ألفت حروفها كما ألِف صاحبها التراب الجنوبي، فسيّله شعراً أقرب إلى جبل حرمون المطلّ على الخيام: «كلوا جميعاً من شواء الروح/ أنتِ يا منازل/ يا جداول/ يا جنائن/ يا قفار/ كُل أنت أيها الجبل الحمار/ وتذكّروني»، وإلى سهل مرجعيون المتنع الذي شوت فيه المقاومة بصواريخ الكورنيت دزينةً من الدبابات: «وتظلمُ الأرجاء/ يختنق الهواء بالبارود/ والتراب بالدماء/ ولم تزل تجرّ إسرائيل رجلها العرجاء/ فوق ثرى الجنوب المظلم. المضاء/ بالنار. بنت الشمس/ في يد المقاومين»، وتلك السهولة في جعل الأرض الجنوبية تسيل شعراً: «دائماً كان الطريق عبر التين/ من جهة الحمار/ وينتهي في بيتنا/ متقدماً في التين/ في القش القديم/ أتى أبي/ ورمى عرانيس أمام الباب/ صلّى ركعتين سريعتين/ وغاب في أحد الكتب/ وأخي الكبير أحبّ/ فامتلأت حديقة بيتنا كرزاً/ وأجراساً/ وأمي أطلقتني في براري الصيف»..

كانت قصة المكتبة و«الدرداره» مدخلاً لتعارفي المباشر بحسن عبدالله منذ سنوات خمس، أول عهدي بالكتابة في «كلمات»، بعدما أعدنا طباعة «الدرداره» في عدد خاص من «الأخبار» بتحرير الجنوب بعدما نفدت طبعتها الأولى عن «دار الفارابي» وصار العثور على نسخة منها أشبه بالعثور على الكبريت الأحمر ولم يخلُ اللقاء الأول مما عرف عن سرعة بديهة (راعي الضباب) وشغفه باللغة العربية، ولا سيما السورة القرآنية عن الزيتونة في سورة النور، وحكايات مدرسة البنات في صيدا حتى وصلنا إلى مهدي: هنا غصّ حسن عبدالله وخيّل إليّ أن اللقاء قد انتهى، ليعيدني إلى مقعدي ويروي قصة الفتاة التي شدّت مهدي من قميصه في قصيدة «ذكرى من صيدا». تتابعت اللقاءات من بعدها، في مقهى «الكوستا» (الروسا لاحقاً) وفي محترف الفنانة خيرات الزين مع رغبة من طاقم التحرير في «الأخبار» بأن يكتب صاحب «أذكر أنني أحببت» بصورة أسبوعية في الملحق الثقافي، وحسن يجيبني بالجملة ذاتها: «ساكتب حين يصفو هذا المزاج». صفا المزاج أخيراً، صار لحسن عمود أسبوعي بعنوان «موجز القول» في «كلمات». كنت أحس بالكهرباء ذاتها في يدي حين أستلم الأوراق التي كتب عليها مادته الأسبوعية والتي ننشر ما تبقى منها اليوم. إضافة إلى ما كتبه في صديقه حسن حمدان (مهدي عامل)... مثل ذلك المسّ الذي أحسسته في ملمس الورقتين الكبيرتين في كتاب أبي. «ليس الهواء هو الذي أسقط أوراق الشجرة بل الموت!»، دوّن حسن بخط مرتجف على إحدى أوراقه. كنت أظن أنّ الموت لا يجرؤ على الذي قال يوماً: «هنالك دائماً نور/ لنجم يرفع الظلمات عنا وهو مستور/ هنالك دائماً قوة/ ترافقنا/ وتدركنا/ ونحن على فم الهوّة/ هنالك دائماً حب/ يفاجئنا/ بدفئ غير منتظر/ إذا ما أقفر القلب/ هنالك دائماً نسمة/ تهب على جروح الروح/ حتى تنجلي الغمّة/ونحن نعيش/ ما ينفك يحرسنا/ ويلمسنا بلطف غامض ما ليس مرئياً/ وإلا/ ما الذي يبقي الفتى حيّاً». إلا أنّ الموت بدأ يتسلل إلى الديوان ذاته (راعي الضباب) الذي افتتحه حسن بهذه القصيدة، لا سيما أن طيف مهدي الصريع برصاصات غادرة في بيروت، كان يطلّ فيه بين القصيدة والأخرى: «أين مهدي؟/ إذا جاء مهدي/ فقولوا له إنني بانتظاره/ قرب أعلى حجَر/ حجرٌ هو قبر/ حجَرٌ هو بيت من الشِعر/ أقفله شاعر مسرعٌ ذات يوم/ على ميّتٍ/ ومضى/ في صفاء المساء»: في الاتصال الأخير بيننا يوم الأربعاء الفائت، أخبرني حسن عبدالله أنه زار الخيام وعاد. هاتفّ في داخلي أقرب إلى خط اليأس هذه المرة كان يحثني على أن أطيل المكالمة قليلاً، أن أستزيد من تلك اللكنة الجنوبية الأقرب إلى الماء يحمل تيناً وصفصافاً: كان الشاعر منهكاً وقد انتزع الأنبوب الذي يصله بماكينة الأوكسجين الفارغة. ناداه مهدي من بعيد، وهناك في سماء الجنوب الصافية فوق الدردارة، كطائرين، كنجمتين، كغيمتين، التقى الحبيبُ بحبيبه.

تقديم **محمد ناصر الدين**

## «موجز القول»: النصوص الأخيرة

### ◄ لقاء الأشباح

في الماضي، منذ أكثر من ثلاثين سنة، كان الواحد منّا، مناضلاً حقيقياً، في عالم يكتظ بالمناضلين الحقيقيين، من أجل قضايا وطنية واجتماعية حقيقية.

كانت جلسات البيوت جلسات نضال عابقة ببخار الشاي ودخان السجائر، وكذلك جلسات المقهى. وكان معظم نادلي المقاهي مناضلين مثلنا، وغالبية نزلاء الفنادق، ونزلاء السجون والباعة المتجولين، كانوا ينتمون إلى الحزب الذي ننتمي إليه، أو إلى أحد الأحزاب المجاورة.

وكان من المستحيل في تلك الأيام، على رجُل أن يعشق امرأة من تنظيم غير تنظيمه. وكانت المرأة تأنف أن تمنح قبلة لرجل لا يشاطرها موقفها من القضية الفلسطينية، أو أي قضية من قضايا الثورات الأفريقية. ولم تكن الفتاة الشيوعية تتزوج شاباً من منظمة العمل الشيوعي؛ كذلك كان تجاذُب الإناث والذكور بين منظمتي «الصاعقة» و«الجبهة الشعبية لتحرير فلسطين» محدوداً جداً، إن لم نقل معدوماً.

كان صاحب البيت الفخم يخجل من استقبال رفاقه الفقراء في بيته، وكان الذي يتقاضى راتباً كبيراً يحسدُ أحياناً الذي يتقاضى راتباً ضئيلاً لأن الاستعداد الثوري للمرء كان مرتبطاً بعمق بؤسه الإجتماعي، وكان الذي يسعى من أجل الترقية في هذه الوظيفة أو تلك منحرفاً وشاذّاً! أما اليوم، فإنك تلتقي برفيق لك من ذلك العالم، فتشعر بأنه غير حقيقي، كما تشعر بأنك أنت أيضاً غير حقيقي، وأنّ لقاءك به في الماضي قد حدث في حالة تُشبه أحلام النوم. لذلك تتصافحان كما يصافح شبحٌ شبحاً، وتتحدثان للحظات حديثاً أشبه ما يكون بحديث الأشباح، ثم تفترقان، ليتلاشى كل منكما في ضباب مشاغله وهمومه.

### ◄ كلمات في الحب

الطبيعة تعرف كيف تعاقِب
أولئك الذين وظّفوا الجنس
لغير غاية الحفاظ على النوع
إنها تجعل منهم عشّاقاً!

■■■

كانت قد توقفت عن حبّه
ووجدت أن من واجبها أن تخبره بذلك
وعندما فعلتْ
اكتشفتْ أنه يبادلها الشعور نفسه
وبدل أن تسرّ بذلك،
صفعته وخرجت باكية!

■■■

لا يكون حبّاً حقيقياً
ذلك الذي لا يتجاوز الشخص المحبوب
إلى المدى اللامتناهي الذي يمتد وراءه

■■■

إذا رَكَضَ عاشقٌ وراء الحبيب الذي هجرَهُ
فثلاثة أرباع ركضه
هي من أجل استعادة مسروقاته!
أوّل الحب
آخرُه!

■■■

حيثما توجد «لام»
فإن أحداً ينبغي أن يقع في الحب
وبعد وقت قليل...في الجنون!

■■■

كانت تجيئني في أحلام النوم
فاستأنس بها
ولا أدري بماذا أكون قد أسأتُ إليها
حتى توقّفتْ عن ذلك!

■■■

الذهاب بعيداً في الحُب
مثل الذهاب بعيداً في غابة جاذبية الاكتشاف
ممتزجة بجاذبية الخوف!

■■■

مع الرجال
أتحدّث عمّا أعانيه مع النساء
ومع النساء
أتحدّث عما أعانيه مع الرجال.

■■■

أعقد حاجات الإنسان
هي حاجته إلى إنسان آخَر.

■■■

الغصن الذي نقف عليه
أوهن من أن يحمل طائراً ثالثاً
فإمّا ان أطير أنا أو تطيري أنتِ.

■■■

وضعتُ يدي على كتفها
وتابعتُ نحو ظهرها
ثمّ جذبتُها برفق نحوي
فقالت «أرجوك»، فتوقّفت.
-توقّفتَ لأنها قالت أرجوك؟
- نعم
- حمار!

### ◄ في المشهد الطبيعي

في ليالي الصيف الصافية
عندما نكون على شرفة البيت
أو في العراء

حسن عبدالله

فإننا نادراً ما نرفع رؤوسنا
ونتأمل نجوم السماء
وإذا فعلنا، فكم يستمرّ تأملنا للنجوم؟
فسرعان ما سنشعر بالألم في أعناقنا
والتعب في أعيننا
لأننا توقّفنا من زمن بعيد عن النظر إلى أعلى
وأمسينا كائنات لا تكاد تحوّل نظرها عن الأرض
تفحصُها وتتشمّمها
لتظفر بما يمكن أن يظفر به أي كائن عاقلاً كان أم غير عاقل.

■■■

مضمومة الأجنحة
تندفع عصافير الدوري
من شجرة التين إلى شجرة الجوز
كأنّ هناك من يراشق بها!

■■■

المثلّثات اللامتناهية التي يرسمها
طيران ثلاث فراشات بيضاء
فوق الحقل الأخضر

■■■

الزهرة الواحدة
مرئية بعيون مليار إنسان
هي مليار زهرة!

■■■

لا يوجد حزن في الطبيعة
يوجد فقط، الخوف والألم واللذة...
الحزن عاطفة
من اختصاص الإنسان

■■■

ليس المكان فقط هو الذي يخضرّ في الربيع
بل الزمان أيضاً!

■■■

تسليتي المفضّلة في هذه الأيام
هي الجلوس إلى النافذة
ومراقبة شجرة الحياة
تتساقط أوراقها!

■■■

عندما أتوقّف عن الدهشة أمام مشهد الوردة
فسأذهب للبحث عن القانون
الذي يقبع وراءها

■■■

انفجار «البيغ بانغ» نفسه
قد لا يكون بأهمية انفجار
برعم زهرة!

إنه وهم نسمة
أكثر مما هو نسمة حقيقية
ذلك الذي جعل أوراق الشجرة تتساقط
حتى من دون أن تشعر أعضانها بذلك
ومع أنني شاعر أشجار أكثر مما أنا شاعر أي شيء آخر
فلم أتمكن من التعليق على المشهد
فليحاول القارئ . مشكوراً . أن يعتمد
على نفسه هذه المرة ويسجّل التعليق
الذي يريد
فإذا لم يستطع
فلهُ أن يقول:
ليس الهواء هو الذي أسقط أوراق الشجرة
بل الموت!

## من مجموعة «الدردارة» (1981)

### ◄ مهدي في شانه العاني

لا بدّ لي من ذكر هذا الشيء:
أمي ساعدتني في كتابة هذه الكلمات،
ساعدني كذلك تابعي المعروف باسم
حسّن خليل
وأبو علي
والمرأة السوداء
والولد اليتيم
وذلك الشخص الذي غمز الهواء بسيفه
فأماتني ضحكاً
وتينٌ طافحٌ عسلاً
وصفصافٌ يسيل
وساعدتني صرخةٌ في الليل
والولدان طارا في انفجار واحدٍ
وفتاة عصر السبت
كافحَ هؤلاء جميعهم ليجيء هذا
الشعر مبتكراً
ولن ننسى أخيراً سيّداً يدعونهُ:
مهدي
(سيعظّم شأنهُ المائيُّ فيما بعد...)
فيما بعد
سيكون مهدي أحد الثلاثة،
واثنان منهم يخسران دماً
وأفكاراً
ودبابات...

■■■

جريان ماء
جريان أيام وأوهام، تعبتُ تعبتُ من
هذا التراب
وقد تضرّج بالتصاميم الدنيئة
والدماء
وتصبّ في وجهي بتيمات الغروب
وصُفرة الشجر الخراب
وتصبّ في وجهي ميازيب السراب
وتصب نار مدافعٍ لمغت على كتف
الهضاب
أين السماء على البحيرة
أين ماء البيت
هل من فيلسوفٍ؟
أين مهدي؟
أين يا مهدي السماء على البحيرة
أين باب البيت؟
مهدي رأى وسكّتْ
مهدي رأى السمكة
في قبضة الشبكة
ورأتهُ واضطربَت
مهدي رأى... وسكّتْ
مهدي رأى التينة
منهوبة الزينة
ورأتهُ ثمّ بكّت
مهدي رأى... وسكّت
مهدي رأى ورأى
مهدي رأى ونطق
لكن بقاف الحقّ!

## من مجموعة «راعي الضباب» (1999)

### ◄ ذكرى من صيدا

أتذكرينها؟ الطالبة التي دعتنا للغداء
في بستان جدّها
وقدّمت لنا السمك؟
شقراء
ساقاها رفيعتان
ثعلبية العينين
فوق صدرها مجرّةٌ من النمش
لا تعلمين أبداً متى تغِشّ!
تزوّجت... سمعتُ أنها تزوّجَت
من ضابطٍ في «جبهة النضال»
وهي الآن في اليمَن...
ما اتّصلت برجُلٍ إلا وخَنّ!
أتعرفين أنها تسبّبت
بمقتل اثنين من المقاومينَ
عنصرٌ من «أمل»
وعنصرٌ من «المخيمات»؟
ولم تحرّك هذه المأساة ذرّةً من الندمْ
في قلبها
بل شوهدت
تفرقعُ «العِلك» الذي في فمها
وتبتسم!
نعم دعتنا للغداءِ
في العراءِ
فوق العشب
بين البرتقال
تحت الشمس في الربيع
في بستان جدّها
وقدّمت لنا السمكْ...
ما كان مهدي ليجيء معنا
سألتُها... قالت دعتهُ
قالت جذبته من قميصهِ
لكنّه أبى...
وظلّ ممسكاً بقلمهْ!
كان جميلاً ذلك اليومُ
ابتهجنا بهجةً قويةً
ها هي ذي تعود حيّةً
رائحةُ النعناع والبقدونس المغرومِ
بيننا قطّة، بل قطتان
تفحصان في جذوع شجرة الرمّان
وكانت الشمس التي تضيئنا
تضيء في الفضاء نفسه سحابة
الزيزفان
فوق قمم الأشجار في البستان...
وكان، ما أخفّنا خِلّان
فمنشدٌ كانّ في حلقومه حسك
أطربنا!
وضاربٌ بحجَرٍ على التنك
رقّصنا!
وفجأةً أطلّ مهدي
دافعاً أمامه
أسلوبه الرهيب
في المراح والمزاح والضحكْ
فارّلزل المكان!
قد كان مهدي انذاك
لا يزالُ
حيّاً...
وهي الندم القارض العمر
فكّر بي ونهاني عن الشعر
قلت له: إنها...
ولنسيانها
آهٍ احتاج عشرين رطلاً
من العضلات!

### ◄ ج- لا لمهدي

لا لمهدي
ولها
كلّ هذا الهواء الذي لم يعُد جسداً
كلماتي الطوالُ وصمتي العريضُ
وما هدّمَ القلبُ أو شيّدا
من نساءٍ سدى
من نساءٍ صدى
لهواء يديها وأثوابها
لا لمهدي...

### ◄ مقطع من «قبر حرب»

لا أفكّر بالمرأة احترقت
والقُرى خرجت حافية
لا أفكّر بالأحمر المبتعد
لا أفكّر بالورد
لست حزيناً إلى ذلك الحدّ
روحي مصفّحةٌ
بسواد كثيف
وأمس تهدّم بيتي عليّ
ولم أنتبه!
لا أفكر بي
لا أفكر به
وأفكّر حيث يفكّر مهدي
ومهدي يفكر بالخضرة النائمة
حيث لا توجد الغيمة القادمة
أين مهدي؟
إذا جاء مهدي
فقولوا له إنني بانتظاره
قربَ أبعد قبر
بقفْر
يحار القطا فيهِ
قولوا لمهدي يحار القطا فيه
قولوا: يحارْ
فلاةٌ مدوّرةٌ
ومدىً ناشفٌ
ونهارٌ ضعيف النظرْ
لا يرى
أنه
سوف يُعثر بعد ثوانٍ بقبرْ!
أين مهدي؟؟

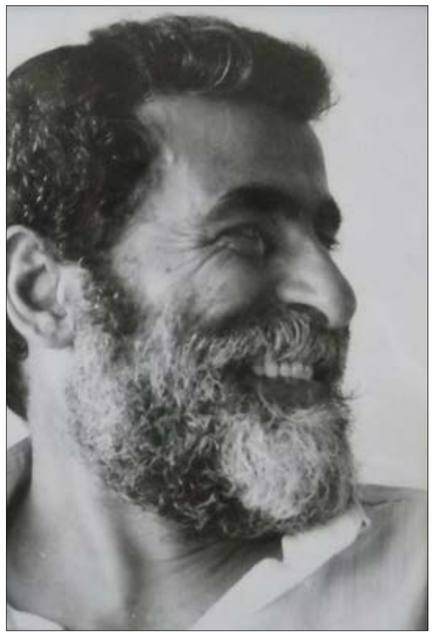

مهدي عامل

### ◄ الطبيب الكبير

فاطمة
وغياب عميق لمهدي كان مات
أما أنا
فيقول الطبيب...
قال لي
قال لي
بعدما جسّ صدري
وحدّق في سقف حلقي
وأصغى إلى وصلة من سعالي
انتبه! قال
أنت تموت روياً رويداً
وقال:
-لا تدخّن
ولا تشرب الخمر
● والشاي؟
● والشاي...
لا تنفعل!
لا تفكّر!
ونَم باكراً وعميقاً
وإياك والخوف من أي شيء!
فاطمة
وغياب عميق لمهدي كان مات
أما أنا، فالنهارُ
النهارُ
النهار
كنت غادرتُ ليل العيادة
منتشياً بإرادة
أنّ لن أطيع الطبيب
وخبأت في جيب محفظتي
فكرة الانتحار
الأصحّاءُ في الضوء
ضوء الصباح الشديد
نشاط وعافية وازدهار
إنها لحظة لندخّن
نحن الرجال الظلال
لحظة لنفكّر فيها
بأن الجسوم التي حملت ثقل أرواحنا
عملت كالبغال...

## قصائد الفراق

### ◄ ا-مرّ مهدي

مر مهدي ولم يرها
مر بين الثلاثاء والأربعاء
لم ير بشراً
لم ير حجراً أو شجر
ورأى فكرة هي:
(إن السماء تملأ البحرَ)
ثم اختفى...
واصفٌ وصفا
قال صيدا جميلة
وأشار إلى قامتي الذابلة
وسط الاحتفال.

### ◄ ب- وهو مهدي

وهو مهدي
سياتي ليجبل طيناً بدَم
وسيأخذ عظماً ويكسره فوق ركبتيه
ليرينا البياض الأهمّ!
وسيمنعنا أن نحكّ
على موضع الشكّ
في العين والذاكرة
ونموت...
ويحملنا الحاملون إليه
فلا يتألّم
لا يتكلّمْ
لا يشتري وردةً
لا يفلسف عظْم
ويعود من المقبرة
ويجرّ إلى شاطئ البحر كرسيّه
ويدخّن سيجارة حائرة

-أين مهدي؟
إذا جاء مهدي
فقولوا له إنني بانتظاره
قرب أعلى حجَر
حجرٌ هو قبر
حجَرٌ هو بيت من الشِعر
أقفله شاعر مسرعٌ ذات يوم
على ميّتٍ
ومضى
في صفاء المساء
وفي ذلك البيت:
قفْر
وفي القفر:
قبر
ووقفتُ
وقلتُ: قفا...
وقفا
قلتُ: نبكي
بكينا
وترجّلتُ عن فرسي
وسقطتُ
على القبر
أسأله وأعيد...
أين مهدي
إذا جاء قولوا له
إنني قمت بالخطوة التالية
ورفعت الحجارة عنه
فلم ينبعث!
وتصاعد من عتمة القبر
صوتٌ مليءٌ
أبالسة وشتائم!
حاملاً روحهُ
زينةً
وشعاراً
أطبقُ القبر خلفي
وأخرج...

في ذكرى مرور أسبوع على رحيل حسن عبدالله، يُقام مجلس عزاء ابتداءً من الرابعة من بعد ظهر اليوم في منزله الكائن في بلدة الخيام (جنوب لبنان)، وتُقبل التعازي في بيروت بدءاً من الثالثة من بعد ظهر يوم الثلاثاء 28 حزيران (يونيو) في «جمعية التخصّص والتوجيه العلمي» (الرملة البيضاء . جانب بناية خطيب وعلمي) ـ لتقديم العزاء عبر الهاتف: 03/582493

أوراق

# مرة أخرى عن أهرام الجيزة وحزام الجوزاء

زكريا محمد *

في عام 1996، أصدر كلّ من روبرت بوفال وغراهام هانكوك كتابهما: «رسالة أبي الهول» حيث اقترحا أن أهرام الجيزة الثلاثة تمثيل لنجوم حزام الجوزاء الثلاث الواقعة في وسط برج الجوزاء (الجبار). وكان هذا، في اعتقادي، أهم اقتراح قُدم حتى الآن لفهم الديانة المصرية القديمة، أو ديانة الأهرام كما يمكن أن نسميها. وبهذا الاقتراح، لم تعد أهرام الجيزة مشروع مدافن شخصية لملوك ثلاثة هم: خوفو، خفرع ومنقرع. بل صارت مشروعاً دينياً هائلاً له علاقة بالسماء ونجومها وآلهتها.

وقد تعرّفت إلى كتاب بوفال وهانكوك بعد صدوره بسنوات، وفي سياق بحثي في ديانة العرب قبل الإسلام، فساعدني على ربط ديانة مكة بالديانة المصرية القديمة، وهو ربط نتج عنه كتابي «عبادة إيزيس وأوزيريس في مكة الجاهلية» (2009). وفي هذا الكتاب الكبير الحجم، ومع كل مشاكله، أظن أنني وضعت أسس فكّ شيفرة ديانة العرب في الجاهلية. كما أنني قدّمت بعض المقترحات المفيدة بخصوص ديانة الأهرام. وكان اقتراحي المركزي في كتابي أنّ أهرام الجيزة ليست حزام الجوزاء كما اقترح بوفال بل هي حزام معاكس لحزام الجوزاء، واستناداً إلى النقاط التالية:

أولاً: إذا كانت أهرام الجيزة الثلاثة تمثيلاً لحزام الجوزاء في جنوب السماء، فقد كان عليها أن تُبنى في جنوب مصر لا في شمالها، لأن حزام الجوزاء موجود في جنوب السماء لا في شمالها، إلّا إذا افترضنا أن أرض مصر سماء مقلوبة معاكسة للسماء فوقنا.

ثانياً: إذا كانت الأهرام تمثيلاً لنجوم حزام الجوزاء، فلماذا تفتح جميعاً أبوابها على شمال السماء، أي على الدب الأكبر وبنات نعش، ولا تفتحها على نجوم برج الجوزاء في جنوب السماء؟

ثالثاً: ثم لماذا تصطفّ نجوم حزام الجوزاء من الجنوب إلى الشمال بدءاً من الهرم الأكبر، في حين تصطفّ الأهرام الثلاثة بشكل معاكس، أي من الجنوب إلى الشمال؟

وانطلاقاً من هذا التعاكس البيّن والواضح، فقد توصلت إلى أن الأهرام الثلاثة ليست حزام الجوزاء، بل حزام مضاد له. أي أنها «حزام شمالي» يقف في مواجهة «الحزام الجنوبي». وما زلت متمسكاً باقتراحي القديم أعلاه. لكنّ السؤال هو: لماذا يُطرح حزام مضاد لحزام الجوزاء في شمال السماء؟ وما الهدف؟ وقد بدا لي وقتها، وانطلاقاً من بوفال، أننا في مع جدل هيغلي: فلدينا أطروحة هي حزام الجوزاء، وأطروحة مضادة هي أهرام الجيزة الثلاثة. بالتالي، بقيت لدينا أطروحة التركيب بين الأطروحتين المتعاكستين، أي المصالحة بين الأطروحة الشمالية والأطروحة الجنوبية وتجاوزهما لكي يكتمل الجدل. لذا، تبعت افتراض بوفال حول وجود توازن، أو مصالحة ما، داخل الهرم الأكبر أو حوله. وانطلاقاً من نصوص الأهرام التي تتحدث عن أن الهرم الأكبر باعتباره «ميزان الأرضين»، فقد افترضت، منطلقاً من بوفال أيضاً، أن التصميم الداخلي، المعقّد والمثير جداً للهرم الأكبر، قد يكون هو الأطروحة التركيبية الثالثة. ولأن هذا التصميم مكوّن من ثلاث غرف، فقد افترضت أنه يتوافق مبدئياً مع الفكرة الثلاثية في الأهرام وحزام الجوزاء. بذا، فالغرف الثلاث هي مبدئياً حزام جوزاء داخل الهرم الأكبر. لكنّ ترتيب الغرف الثلاث في الهرم الأكبر مختلف عن ترتيب الأهرام الثلاثة ونجوم حزام الجوزاء، كما لاحظ بوفال. فالغرفة الثانية، أي غرفة الملكة كما تُسمى، تنحرف عن محور الغرفة الأولى، غرفة الملك. ولأن نجمتَي النطاق والنيلام هما النجمتان المسؤولتان عن حركة الماء السفلي في الكون، بالتالي، افترضت أن الغرفة الوسطى قد أزيحت بهدف إحداث توازن جديد يمنع الطوفان. والمصادر العربية تصر بشكل مدهش على أن الأهرام بُنيت لدرء الطوفان.

لكنني الآن أتخلى عن هذه الفرضية. فقد كان يجدر بي أن أحلّ اللغز عبر ما توصلت إليه بشأن ديانة العرب قبل الإسلام. وفي هذه الديانة، فإن لأوزيريس والآلهة التي تناظره عند العرب وجهين وليس وجهاً واحداً، أو وجودين وليس وجوداً واحداً. الوجود الأول، وهو وجود جنوبي، يمثله سهيل اليماني، المقيم على طرف برج الجوزاء. لكنه يتمثل أيضاً بنجم النطاق في حزام الجوزاء (النطاق، النيلام والجوزاء). أما الوجود الآخر، فهو وجود شمالي يقع في بنات نعش، وبشكل أدقّ قرب نجم عناق في وسط نجوم ذيل بنات نعش المكوّن من ثلاث نجوم. فهناك قرب عناق يوجد نجم السها الشهير جداً، والذي ما يكاد يرى بالعين المجردة. وسهيل والسها هما أوزيرس- النيل في فيضه وفي تراجعه، في قمته وقراره. والتشابه بين الاسمين يؤيد ذلك. فسهيل اسم مركب من: «سه + إل»، أي الإله سه، أو ساه. وهذا متوافق من اسم السها (سها). وليس هناك فارق جدي بين «سها» و«سه».

والحال، أن أوزيريس في النقوش المصرية يملك وجودين اثنين أيضاً: الأول: وجوده حين يكون اسمه: سوكر Soker. وأغلب الظن أن «سوكر، سكر» على علاقة بكلمة «سقر» في عربية القرآن، وهي تشير إلى الجحيم، أي إلى العالم السفلي. واعتقادي أن وجوده هذا يمثله نجم السها في بنات نعش.

الثاني: وجوده حين يكون اسمه: ساهو Sahu، وهو يُسمى بهذا الاسم في قمة فيضان النيل في الخريف. ذلك أن أوزيريس هو النيل. وفي هذا الوجود، هو يتمثل بسهيل اليماني وبنجمة النطاق. بذا فأوزيريس حين يكون اسمه «ساهو» هو سهيل اليماني العربي، وقرينته هي الشعرى اليمانية، فهو قرينته إيزيس. وحين يكون اسمه «سكر» هو نجم السها، وقرينته عناق، التي هي النظير الشمالي للشعرى اليمانية. وليس مصادفة أن يكون هناك توافق لفظي بين الاسم «ساهو» المصري وبين الاسمين «سهيل» و«سها» في العربية.

وإذا كانت أهرام الجيزة حزاماً شمالياً مضاداً لحزام الجوزاء، فلا بد لها أن تعطينا الوجود الشمالي لأوزيريس، أي وجوده باسم «السها» قرب نجم عناق في بنات نعش. ويبدو بالفعل أن تصميم الهرم الأكبر الداخلي يعرض لنا نجمة عناق ونجم السها قربها.

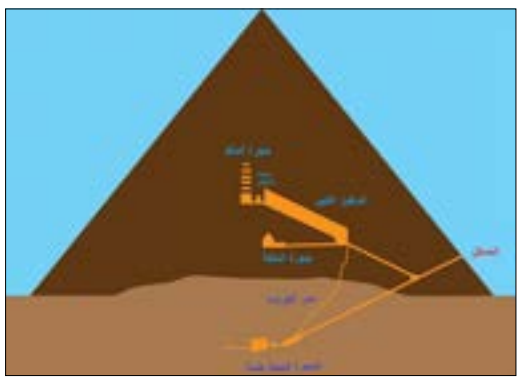

التصميم الداخلي للهرم الاكبر

ولاحظ أن هناك 4 حجرات في الهرم الأكبر- كما في الصورة أعلاه- وليس 3 حجرات كما هو الشائع. وهذا هو الذي لم أنتبه له في كتابي المذكور. فالجميع كان يتحدث عن ثلاث حجرات. لكننا في الحقيقة مع أربع حجرات، إحداها صغيرة جداً:

الحجرة الرقم 1 وهي الأعلى والأكبر، وتسمى «حجرة الملك».

ثم الحجرة الرقم 2 الصغيرة جداً قربها، وتُعتبر تابعاً لها عند الباحثين، وتُسمى «حجرة الانتظار».

الحجرة الرقم 3 وتُسمى «حجرة الملكة».

وهناك الحجرة الرقم 4، وهي الحجرة التحت أرضية. والتسميات كلها بالطبع خاطئة وناتجة عن وهم أن الأهرام مدافن ملكية.

ولو أبعدنا الحجرة التحت أرضية، وهي حجرة موجودة داخل الأهرام الثلاثة جميعاً، فإنه يكون لدينا داخل الهرم حجرة زائدة عن فرضية بوفال هي «حجرة الانتظار». فلا مثيل لهذه الحجرة لا في حزام الجوزاء ولا في الأهرام الثلاثة.

التصميم الداخلي للهرم الاكبر بعد إبعاد الحجرة التحت ارضية

لكن هذا التصميم، بغرفته الزائدة، يتوافق تماماً مع المنطقة التي تقع فيها نجمة عناق الوسطى في ذيل بنات نعش في السماء. فهناك ثلاث نجوم في هذه المنطقة:

1- نجمة عناق الضخمة، وتُدعى Mizar في التقليد الغربي.

2- نجم السها أسفلها ويُدعى Alcore في التقليد الغربي.

3- نجم ثالث ضئيل جداً بينهما هو الذي يُدعى «المئزر» بالعربية، ويُدعى Zeta Ursae Majoris في التقليد الغربي.

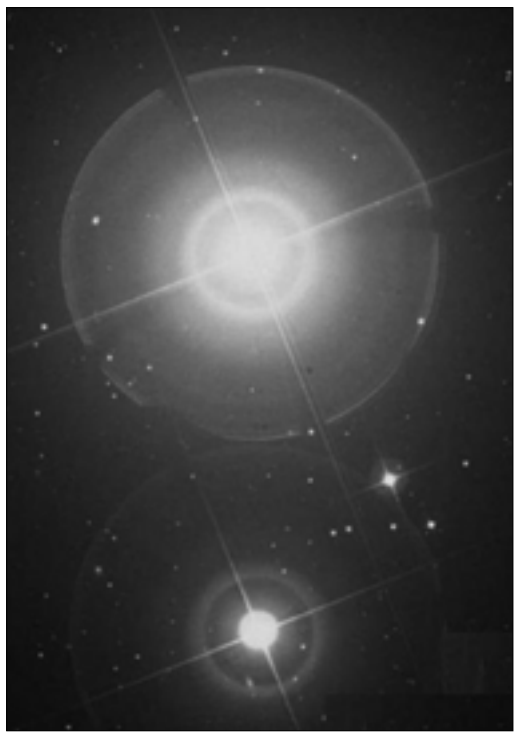

التصميم الداخلي للهرم الاكبر بعد إبعاد الحجرة التحت ارضية

وهذه النجوم الثلاث هي التي يمثلها تصميم الهرم الأكبر الداخلي. فالنجمة الكبيرة، أي نجمة عناق، تمثلها غرفة الملك، ونجم السها في الأسفل تمثله غرفة الملكة. أما النجم الصغير بينهما فتمثله «حجرة الانتظار»، أي المئزر. وإذا صحّ هذا، فغرفة الملك هي التي يجب أن تكون في الحقيقة «غرفة الملكة». ذلك أن نجمة «عناق» هي الملكة فهي تمثل إيزيس في وجودها الشمالي، في حين أن ما يسمى «غرفة الملكة» تمثل نجم السها، أي أنها «غرفة الملك» في الحقيقة. فالسها هو أوزيريس القار، النائم، غير الفيضي. أما نجم المئزر الصغير فيقع بين الملكة والملك، ولست أدري أيّ كيان إلهي يمثل. فهل يمثل الابن، ابن عناق والسها؟

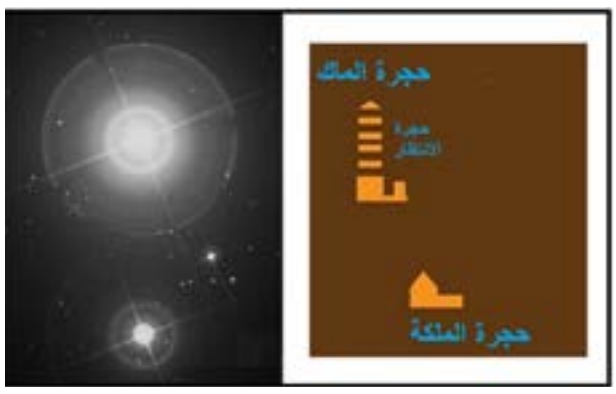


إن صحّ هذا، فهو يثبت أن الهرم الأكبر يعرض لنا في داخله شمال السماء لا جنوبها. بذا يمكن القول إنّ حورس- وكل ملك مصري هو حورس- فرض حزام الجوزاء على شمال مصر على شكل أهرام ثلاثة. وهذا يعني أنه فرض سيطرته على شمال مصر. لكن هذا حدث مع نغمة مصالحة ما، إذ إنه قلب الأهرام وجعلها شمالية. كما أنه وضع شمال السماء، أي عناق والسها، داخل الهرم الأكبر كدليل على هذه المصالحة. وهكذا صار الهرم الكبر ميزان الأرضين، أي شمال مصر وجنوبها معاً. لم يعد يمثل الجنوب فقط، بل الشمال والجنوب معاً، لكن تحت هيمنة الجنوب. وأعتقد أن هذا على علاقة بثيولوجا حجر شابكا. ففي نص هذا الحجر أن حورس وسيث اقتسما مصر بجنوبها وشمالها. ثم قرّر الإله جيا أن حصة حورس قليلة، فأعطاه شمال مصر وجنوبها، أما سيث فرفعه إلى شمال السماء. بالتالي، فقد صار حورس ملكاً لمصر كلها. لهذا جرى نقل صورة نجوم حزام الجوزاء، الذي هو حزام حورس، إلى شمال مصر، وطرحها بالحجر هناك. وهكذا صارت الأهرام بوجهيها المتعاكسين ممثلة لجنوب مصر وشمالها. ويعتقد باحثون غربيون أن نجمة عناق قد سميت في التقليد الغربي ميزار Mizar خطأ باسم المئزر، وعلى افتراض أن المئزر هو نجم السها. وهذا غير صحيح. فالمئزر هو النجم الصغير بين عناق والسها، وتمثله «حجرة الانتظار» كما تسمى. أكثر من ذلك، فأنا أعتقد أنه لا توجد أي علاقة بين «ميزار» و«المئزر»، وأن ما يبدو من علاقة مجرد مصادفة. واعتقادي أن نجمة ميزار هي النجمة التي تدعى ميزوري، أو ميسوري، في المصادر القديمة. وهي إلهة مرتبطة بإله يدعى صودُق. وقد ورد الاسمان معاً في تاريخ فيلو الجبيلي: (ميسور Misor وصودوق Suduk). كما وردا في نصوص أوغاريت من القرن الرابع عشر قبل الميلاد، وبتوافق مع ما ذكره فيلو. ولدينا زوجان بابليان هما ميسارو Mesaru وكيتو Kittu. وهناك دلائل ما على وجود بقايا لميزار في سفر إشعيا: «بل يقضي بالعدل للمساكين، ويحكم بالإنصاف لبائسي الأرض» (الكتاب المقدّس، إشعيا 11:4). وكلمتا بالعدل وبالإنصاف هما في الأصل العبري «بصدق» و«بميسار». وهناك احتمال بأن هذه الجملة تعني فعلياً: «بل يحكم بالصودق وبميزار»، أي يحكم بحكم هذين الإلهين.

وأخيراً، ما أخبرنا به أبيفانوس، هو أن المصريين يسمّون شهر تشرين باسم ميزوري Mesori: «رأس السنة، الذي يقع في الخريف، أي بعد شهر تشرين، الذي يسمّى أوغست عند الرومان، لكنه يسمّى ميزوري Mesori عند المصريين، وغورفبانوس عند المقدونيين، وأبيليوس عن الإغريق. وهم يبدأون سنتهم الجديدة في تلك النقطة» (Epiphanius of Salamis، The Panarion، 2009، page 37-38). ونعتقد أن شهر ميزوري المصري أخذ اسمه من ميزار هذه. وكل هذا يدفعنا للاعتقاد أن صودق هو «الصديق» عند العرب. والصديق هو اسم آخر لنجم السها، أو صفة له. أما ميسارو أو ميسور فهي ميزار. أي أن الاسم «ميزار» ليس تحريفاً لاسم «مئزر» العربي. على أي حال، يبدو لي أن الإله السها (أي أوزيريس وما يشبهه من آلهة) يكون في الأصل داخل مربع بنات نعش، الذي يُسمى «النعش». وهو يُسمى بهذا الاسم لأنه «نعش» الإله في موته وقراره. ولأن أوزيريس الميت- النائم موجود في النعش لذلك ليس هناك حجرة دفن، أو تابوت في الحجرة التحت أرضية في الهرم الأكبر. التابوت موجود في هرم خفرع ومنقرع، لكن ليس في الهرم الأكبر. في كل حال، يبدو أن الإله الميت يخرج من نعشه، أي مربع بنات نعش، في شهر ميزوري المصري ويذهب إلى «غرفة الملكة» قرب نجمة عناق. وهناك تنعشه عناق، إي إيزيس الشمالية، وتخرجه بشكل ما من موته. لهذا يدعى السها عند العرب أيضاً باسم «نعيش»، أي الذي يُنْعش: «يقال: هو أَخْفَى مِنْ نُعَيْشٍ في بنات نَعْش، وهُوَ السُّهَا أَوْسَط البَنَات» (الزبيدي، تاج العروس).

هذا هو الأمر باختصار شديد ومجحف جداً. وعرض الأمر بوضوح كافٍ كان سيحتاج إلى ثلاثة أو أربعة أضعاف هذه المساحة.

* شاعر فلسطيني

Samedi 25 Juin 2022 no24
السبت 25 حزيران 2022 العدد الرابع والعشرون

# القوس

www.alqaous.com

12 صفحة

ملحق أسبوعي مخصّص للعدل والإنصاف يصدر مع الأخبار كل سبت

# سجن في ميناء سياحي...

[2-3]

تحقيقات موضوعية في ظل الأزمة؟ 5-4

«ألف باء القانون» لنيابة عامة أسرية 7-6

العنف ضد النساء باقٍ... ويتمدّد 9-8

عمالة الأطفال في الداخل المحتل 11-10

(إيمن لزيق)

قاووش

# سجن عالق في شباك ميناء سياحي

**في واحدة من ابرز المناطق السياحية، وخلف زوارق بحرية تتجول بالسياح، يقع سجن مدينة صور. مبنى قديم، كان يستعمل كإسطبل للخيل قبل اكثر من 300 عام.**

**في وقت يستمتع زوار المدينة على مقربة منه بمياه البحر واشعة الشمس ويراقبون النوارس البيضاء التي تلامس البحر بحرية، يعاني نزلاء سجن صور من ظروف صعبة خلف القضبان، ولا يرون الشمس إلا قليلًا. بالقرب منه تمثال للسيدة العذراء. من حولها، صيادون لوّحت الشمس بشرتهم، وزوار يلتقطون الصور، ويلعبون مع اطفالهم، ويأكلون السمك. لا يميّز هؤلاء السجن القريب الذي يشكل جزءاً من «البيئة» التي جعلت يومهم «شديد الجمال»، ربما بسبب شكله المعماري المغطى بحجر اصفر قديم كعمارة الفنادق والمطاعم في الميناء من حوله، او ربما لان خطة نقله إلى موقع آخر تعثرت قبل وقت بعيد**

■ إقبال زين

تظهر من بين قضبان البوابة الرئيسية لافتة بيضاء، مكتوب عليها بأحرف عريضة «سجن صور» الذي افتُتح عام 1992، مع سهم يشير إلى ممر ضيق إلى اليسار. هذا أول ما يلاحظه من يقف أمام مبنى السرايا التي تضم دوائر حكومية ومخفرًا للدرك ومركزاً للأمن العام. على حجارة السجن الصفراء من الخارج، لوحة تشير إلى أن هذا البناء ذا الحجر الرملي شُيد في زمن العثمانيين، تحديداً سنة 1680 م. ويعتقد بأنه كان اسطبلًا للأحصنة في ذلك الوقت. أما السرايا فبنيت عام 1750 على يد الحاكم عباس محمد الوائلي، ثم اتخذها الفرنسيون مقراً عسكرياً لهم، وتحولت إلى قائمقامية بعد الاستقلال. إلى جانب قِدَمه، وعدم أهليته الهندسية والإدارية والمادية ليكون سجنًا يتمتع بظروف كريمة، بشكّل الموقع الجغرافي للسجن أحد أكبر إشكالياته، لقربه من المرفأ ومن أشهر مطاعم المدينة وفنادقها، ما قد يمنع تحقيق الأغراض التأهيلية المنوطة بعقوبة السجن. فما هي حالة السجن الحالية؟ وكيف يؤثر موقعه الجغرافي عليه؟ ولماذا لم يُنقل خارج هذه النقطة المكتظة؟

بداية، تجدر الإشارة أنه لا يوجد في المرسوم رقم 14310 الصادر سنة 1949 وتعديلاته المتعلقة بتنظيم السجون مادة تتحدث عن المعايير الجغرافية التي يجب أن تراعيها الدولة عند بناء أو تنظيم السجن. وللحقيقة، فإن الربط بين حالة الموقع الجغرافي وتأثيره على السجناء هو محط دراسة.

### متر مربع لكل سجين

يتألف السجن من 5 غرف يتوزع عليها السجناء. وهو يحتل الطبقة السفلى من السرايا، فيما خصصت الطبقتان العلويتان من المبنى للدوائر الحكومية ومخفر الدرك. وبحسب ما أشار اليه رئيس السجن، في التقرير الوطني الشامل عن أوضاع السجون في لبنان سنة 2011، فإن التعداد القانوني للسجناء بحسب قدرة الاستيعاب كحد اقصى يبلغ 70 شخصًا، وهو تعداد مختلف عليه رغم أن الأجهزة الأمنية تعتمده. لكن، بحسب توصيات لجنة الصليب الأحمر الدولية التي تقدر المساحة الدنيا التي يجب أن يحصل عليها كل سجين ب 3,4 أمتار مربعة، فإن عدد السجناء في صور يجب أن لا يتخطى الـ

> **9**
>
> **يتألف السجن من 5 غرف يتوزع عليها السجناء. وهو يحتل الطبقة السفلى من السرايا، فيما خصصت الطبقتان العلويتان من المبنى للدوائر الحكومية ومخفر الدرك**
>
> **6**

42 سجينًا. وقد ورد في التقرير أن عدد النزلاء سنة 2010 كان 62 شخصًا، كما أن مجموع الأسرّة بلغ 68 . وعلمت «القوس» أن عدد السجناء زاد إلى أكثر من 120 شخصًا حاليًا بعد نقل حوالي 40 سجينًا إليه من سجن النبطية الذي يخضع لأعمال صيانة.

يقول محمد المحكوم الذي قضى اربع سنوات في سجن صور: «لم يكن عدد الأسرّة كافيًا. لذا كنا ننتظر تنظيف الأرض مساء حتى ننام عليها، وفي بعض الأحيان نتناوب على أسرّة النزلاء القدامى إذا ما سمحوا بذلك».

تقدر مساحة الزنازين الخمسة بـ 142 مترًا مربعًا، ما يعني أن المساحة التي يتمتع بها كل سجين حاليًا في صور -على أكبر تقدير - هي متر مربع واحد، بغض النظر عن كتلة السجين الجسدية، وهو أمر مخالف لمعايير التعامل مع السجناء التي تنص عليها الأمم المتحدة.

### حراسة شديدة

يتميز السجن بنوع من الحراسة الشديدة، فلا ضوء ولا هواء يدخل إلى غرفه. ومع أن السجناء يخرجون إلى التنزه في الباحة يوميًا، إلا أنها بالكاد تتسع لهم بسبب ضيقها. كما أن مراجعي الدوائر الحكومية يمكنهم رؤية السجناء من الطابق العلوي عندما يكون هؤلاء في الباحة. يعلق محمد: «كانت أبواب الباحة تفتح حوالي الساعة 7:30 صباحًا وتبقى حتى الـ 5:00 أو 6:00 بعد الظهر، وكنا نستطيع الخروج في هذه المدة متى ما شئنا ذلك، لكن أشعة الشمس لا تصل جيداً الى الباحة المسقوفة بسواتر حديدية».

ولا يضم السجن مكتبة للسجناء أو مساحة يمكنهم أن يمارسوا فيها أي نوع من النشاطات الحرفية. رغم أن البناء رمم أكثر من مرة وأقفل لسنتين بين عامي 2006 و2008 بسبب الصيانة التي شملت الدهان والتبليط وتصليح الأبواب والكهرباء، إلا أن الرطوبة لا تزال تعشعش في جدرانه بسبب قربه من البحر الذي يفصله عنه ممر ضيق.

## جدل حول تغيير الموقع

يختلف سكان مدينة صور حول تقييمهم لموقع السجن. نسبة لا بأس بها أكّدت لـ«القوس»، في مقابلات عشوائية، بأنها تفضل تغيير موقعه الحالي لمراعاة مشاعر المساجين ووضعهم في بيئة أقل اكتظاظاً. غير أن آخرين رفضوا هذا الخيار لأنه «إذا نقلوه من هون، اللي عنده ولد محبوس كيف بروح بشوفه؟»، خصوصًا بعد ارتفاع كلفة المواصلات. ومع أن فتح نقاش جدي حول نقل السجن من عدمه لن يحسم باستفتاء شعبي، لكنه يطرح خيارات جديدة قد تساهم في تحسين حالة المساجين النفسية والجسدية، وقد تضخ موارد جديدة إلى أيدي الدولة. فنقل السجن من الناحية الإدارية سيكون صعبًا، لا سيما في ظل التحديات الاقتصادية التي تمر بها المؤسسات الرسمية. لكن في الوقت عينه، يمكن للاستثمار في مبنى كهذا عبر تحويله إلى فندق أو مطعم أو متحف أن يكون بابًا لتشجيع السياحة وتنشيط الدورة الاقتصادية في مدينة تعتمد على السياح. كما أنه سيكون بوابة لرسم خارطة نموذجية تراعي النظم الهندسية للسجون.

(ايمن لزيق)

## توصيات الامم المتحدة

- ينبغي أن تجري زيارة السجناء في ظروف كريمة تتسم بقدر كاف من الخصوصية لتسمح بحدوث اتصال مفيد وبنّاء من أجل إعادة تأهيل السجين.
- قد تتسم الزيارات بين السجين وأسرته بتوتر شديد . ويمكن تخفيف التوتر إذا كانت غرف الزيارة مريحة بقدر الإمكان.
- من المهم أن يكون بمقدور السجناء والزائرين أن يلمس أحدهم الآخر وأن يكون في الإمكان ضم الأطفال.

## «فرجة» للمارة ولزوار السراي

نصت المواد (68-74) من مرسوم تنظيم السجون على أن تمنح السلطات المختصة تصريحا بالزيارة لمدة 15 دقيقة يوم المقابلة لذوي السجين. غير أن الموقع الجغرافي وحالة سجن صور لا يسمحان بإتمام ذلك بطريقة ملائمة وكريمة. «كنت أشعر بالإحراج عندما يقف أهلي أمام العازل ليطمئنوا علي. المراجعون في الدوائر الحكومية كان بإمكانهم أن يرونا ويسمعونا. حتى المارة الذين يعبرون من أمام السرايا، كانوا قادرين على رؤية أهلي واقفين أمام العازل يحدثونني، وكان ذلك قاسيًا»، يقول محمد. ويضيف: «لا أنسى اليوم الذي لم يسمح لي الحرس فيه بأن أعانق أخي قبل سفره رغم أنني طلبت ذلك أكثر من مرة». ومع أن التوصيات الدولية تشيد بضرورة أن يتمكن السجين من التواصل المباشر مع أهله وملامستهم بغية تحفيزه بشكل إيجابي وفي جو يتسم بالخصوصية، إلا أنه لا يوجد في سجن صور مكان مخصص للزيارات العائلية أو زيارات الوكلاء القانونيين لضيق المساحة، ولا يستطيع السجين أن يلمس ذويه أو يتواصل معهم إلا عبر الهاتف ومن خلف القضبان، فضلاً عن شعور السجين وأهله بالإحراج نتيجة اكتظاظ السرايا والشارع من حولهم برواد المقاهي والفنادق.

## تراجع الطبابة ونقص في الادوية

نصت المادة (52) من المرسوم 14310 حول تنظيم السجون وإنشاء إدارة طبية، أن لكافة السجناء الحق في أن تتم زيارتهم ثلاث مرات على الأقل في الأسبوع من قبل أطباء معينين ووفقا لشروط محددة. وذكر في التقرير الوطني الشامل عن أوضاع السجون في لبنان سنة 2011 أن النزلاء في سجن صور كانوا يحصلون على خدمات طبية جيدة داخل السجن، إذ كان هناك جولات دورية للأطباء عليهم وإن بشكل متقطع، لكنهم كانوا يحصلون على الأدوية اللازمة تحت إشراف رئيس السجن وطبيبه. غير أن الأوضاع تغيرت مع استفحال أزمة الدواء وغلائه. ويقول سجين سابق لـ«القوس» إن الأطباء «توقفوا عن زيارة السجن في الآونة الأخيرة»، واقتصر الأمر على نقل الحالات المرضية إليهم. كما أن بعض الأدوية الأساسية انقطعت من صيدلية السجن، ويتم تعويضها «بالبنادول غالبًا». بالمختصر، «لم نكن نشعر بالثقة تجاه المشرفين على الطبابة في سجن صور».

## «عالوعد يا كمون»

يجري تداول إشاعة في مدينة صور عن بناء سرايا حكومية جديدة من المفترض أن تضم سجنًا، وأن العمل فيها متوقف بسبب مشكلة من المقاولين. إلا أن الأمر، بحسب ما علمت «القوس»، غير دقيق. فالسرايا الجديدة ستخصص فقط للمعاملات الرسمية ولن يكون فيها سجن.

النائب حسين جشي قال لـ«القوس» إنه غير مطّلع على تفاصيل هذا الملف، مؤكدًا أن «لا نقاش في سوء الموقع الجغرافي للسجن وحالته». فيما قال رئيس بلدية صور حسن دبوق ان «مجلس الانماء والاعمار يمتلك الخبر اليقين». وصدر في سنة 2016 مرسوم عن مجلس الوزراء، يحمل الرقم 4061 قضى بإعطاء مجلس الإنماء والإعمار سلفة من خزينة الدولة تقدر ب 22,5 مليار ل.ل لمدة سنة واحدة بغية إنشاء أربعة سجون نموذجية في لبنان. وكان من المفترض، بحسب أحد المعنيين، إلغاء سجن مدينة صور عند بناء السجن النموذجي في بلدة الكفور إلا أن ذلك لم يحصل «ربما بسبب ضعف التمويل».

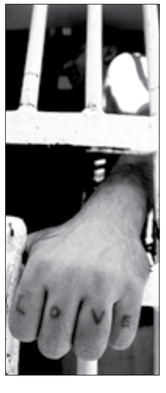

المختبر الجنائي

# كيف تكون التحقيقات موضوعية في ظل الأزمة؟

■ جنان الخطيب

في ظل الانهيار الاقتصادي، والفساد المستشري في إدارات الدولة والقطاع الخاص، والطائفية ونظام المحسوبيات والمحاصصة، وجائحة كورونا، تزيد الضغوطات على عمل المحقق. فقد أدت الأزمة المالية في لبنان الى انخفاض

**ليس من غير المألوف أن يمارس السياسيون أو المسؤولون الفاسدون الضغط على المحققين لضمان نتيجة معينة لا علاقة لها بالحقيقة العلمية**

حاد في القوة الشرائية للعملة ما أثر بشكل ملحوظ على الموظفين الذين يتقاضون رواتبهم بالليرة اللبنانية، خصوصاً المحققين المخولين بموجب القانون من الحصول على «وظيفة ثانية». وبشمل الفساد مشكلة كبيرة، ويشمل الرشوة والمعاملة والتحيز على أساس الروابط الدينية والطائفية والعلاقات السياسية. فقرارات المحققين المتحيزة لتلك الطائفة أو ذلك الحزب تشكل تهديداً وانتهاكاً للحق في المحاكمة العادلة. وليس من غير المألوف أن يمارس السياسيون أو المسؤولون الفاسدون الضغط على المحققين لضمان نتيجة معينة لا علاقة لها بالحقيقة العلمية، مهددين بذلك استقلال نظام العدالة. وفي ظل جائحة كورونا والانتشار الواسع والسريع للفيروس، ازداد القلق والخوف لدى المحقق بحكم ظروف العمل التي تكون في معظم الأحيان في أماكن ضيّقة، لساعات طويلة، وبالاختلاط مع عدد كبير من الأشخاص من ضحايا، ومشتبه بهم، وشهود وغيرهم. والى تلك العوامل، يكون المحققون في بعض الأحيان عرضة للانفعال العاطفي بحكم تجاربهم الحياتية ومعتقداتهم الشخصية، التي يمكن أن تتداخل مع معالجة المعلومات بطريقة موضوعية واتخاذ القرار العادل.

تلك العوامل والضغوطات، إضافة الى الخبرة المهنية والكفاءة العلمية، يمكن ان تؤثر بشكل كبير على موضوعية التحقيقات. فالانحياز في التحقيق الجنائي يمكن ان يؤدي الى اتهامات وإدانات غير مشروعة والى حرمان الأشخاص من حقوقهم. فهناك خطر عندما يطور المحققون الجنائيون افتراضات أو استنتاجات حول الأدلة، والتي ربما تشكل ادانات متسرعة للمشتبه بهم، يمكن ان تفقدهم الثقة في العدالة. علماً انه من الصعب جداً حل تلك المشاكل، الا انه من الأساسي التغلب على هذه الضغوطات التي يمكن ان تحول دون الوصول للمحاكمة العادلة، واحقاق الحق.

قد يكون الاختبار الصحيح للمحققين وتدريبهم، واتخاذ منظور واسع وعميق للقضايا بعيد عن الاعتبارات الدينية والطائفية والسياسية، ومعالجة النقص في الميزانية بشكل يتوافق مع حاجات ومتطلبات هذا القطاع، وتأمين معدات الوقاية الشخصية اللازمة لمواجهة كورونا، من الوسائل والتدابير الفعالة لمكافحة الانحياز في صنع القرار، من خلال القضاء على التكهنات والإدانات غير المشروعة، الأمر الذي يعزز الثقة في سيادة القانون ومعايير العدل والانصاف.

من الافتراضات الأساسية أن الشرطة تعمل بنزاهة وحيادية وموضوعية، ولا تتخذ القرارات إلا بعد أن تكون قد جمعت مجموعة الأدلة الكاملة. المواقف والاعتبارات الطائفية والتوقعات والتحيزات والمفاهيم المسبقة والقوالب النمطية هي من المتغيرات التي قد تؤثر على قرار التحقيق الجنائي.

وبالتالي، في بعض التحقيقات، قد يبحث المحقق، من طائفة معينة، فقط عن الأدلة التي تجرّم المدعى عليه من طائفة أخرى، وبناء فرضيته بدلاً من اتباع القرائن والحقائق. أو عندما يعمد محقق آخر إلى تصديق فرضيته بأن المشتبه بها التي ترتدي ملابس قصيرة هي مذنبة بجرم الدعارة قبل أن تتكون لديه الحقائق، أو عندما تتعاطف محققة مع مدعية صرحت انها تعرضت للتعنيف من قبل والد زوجها. كل تلك المواقف يمكن ان تقوّض عملية تقصي الحقائق، ويترتب على ذلك بناء «حالة» تتناسب وفرضية المحقق(ة).

احياناً يسترشد المحققون بنظرياتهم أو فرضياتهم الأولية في بحثهم عن الأدلة، وربما يتم تفسير الأدلة الغامضة على أنها تدعم توقعاتهم. نتيجة لذلك، يمكن أن يؤدي هذا الانحياز إلى حث المحقق على طرح الأسئلة التي من المرجح أن تؤكد فرضيته وتلتزم بتفسير سببي واحد. وبمجرد وصول المحقق إلى استنتاج أولي يتم اعتماده باعتباره واقعيًا، وبمجرد اعتماده باعتباره واقعيًا، من غير المحتمل تعديله مع نتائج التحقيقات اللاحقة. مع هذا النهج، يتحول المحقق من جمع الحقائق إلى بناء «حالة» تتناسب وظائفه أو معتقداته أو زعيمه أو عواطفه.

### الضغوط النفسية للمحققين الجنائيين

قد يتعرض محقق جرائم القتل أو الجرائم الجنسية لضغوط خاصة. التأثير الهائل والصدمة للعديد من مشاهد القتل والعنف والتشويه والوحشية السادية المرتبطة بالعديد من عمليات القتل - خاصة تلك التي تشمل الأطفال - غالبًا ما تتجاوز آليات الدفاع وقدرات التأقلم حتى لدى أكثر المحققين خبرة.

الى ذلك، ومع استمرار التحقيق، فإن عدم القدرة على حل الجريمة وإغلاق القضية يزيد من إحباط الضباط المعنيين. والأمر الأكثر إثارة للقلق هو الحالات التي يكون فيها القاتل معروفًا ولكن الأدلة الموجودة غير كافية لدعم اعتقاله أو إدانته، خاصة عندما يكون الفشل في القبض على الجاني ناتجًا عن خطأ بشري، كما هي الحال عندما يؤدي خرق البروتوكول إلى فقدان الأدلة أو إتلافها، مما يسمح للجاني بالإفلات من العقاب.

### التورط العاطفي

قد يتورط بعض المحققين عاطفياً مع عائلات الضحايا، خاصة في حالات عدم إلقاء القبض على الجاني، ولا سيما تلك المتعلقة بالأطفال، ويظلون على اتصال بهم لسنوات عديدة. يصبح بعض المحققين مهووسين بقضية معينة ويستمرون في العمل عليها في كل لحظة متاحة، وأحيانًا إلى درجة المساومة بعملهم في قضايا أخرى والذي يؤثر ايضاً على حياتهم الأسرية.

**قد يبحث المحقق، من طائفة معينة، فقط عن الأدلة التي تجرّم المدعى عليه من طائفة اخرى، وبناء فرضيته بدلاً من اتباع القرائن والحقائق**

### الانفعال العاطفي والأزمة الاقتصادية

تم تكليف المحققين «وائل» و«ماجد» التحقيق في الظروف المحيطة باعتداء جنسي على قاصر. طُلب من المحققين تقصي الحقائق وتقديم تقدير في نهاية التحقيقات لتحديد ما إذا كان المشتبه به «مذنباً» أو «غير مذنب».

التقرير الأولي – أفادت هدى البالغة من العمر 14 عامًا أن عمّها سليم اغتصبها. يعيش سليم في المنزل مع هدى ووالديها منذ 6 أشهر. صرّحت والدة هدى أن ابنتها لم يكن لديها أي نشاط جنسي مع أي شخص قبل الحادثة.

تقرير الطبيب الشرعي – بعد الكشف على هدى، لم تُلاحظ أي علامات إصابة او كدمات او جروح، ولكن ظهرت علامات تدل على نشاط جنسي حديث.

مسرح الجريمة - باستخدام مصدر ضوئي، تم تحديد «سوائل الجسم» على غطاء السرير في غرفة نوم هدى. وتشير النتائج المعملية الأولية إلى أن المادة قد تكون سائلاً منوياً. تم تقديم العينة للمعمل لتحليلها.

مقابلة الضحية - صرّحت هدى أن عمّها، سليم، كان دائماً يغازلها ويتحرش بها، وأن غرفة نومه قريبة جدًا من غرفتها لدرجة أنها لا تشعر بالارتياح لوجوده في الجوار، خاصةً لأنه مدان مسبقًا بالاعتداء الجنسي على قاصر. تؤكد مراجعة للتاريخ الجنائي أن سليم مدان بارتكاب جرائم جنسية.

مقابلة المشتبه به - سليم ينفي هذا الادعاء، ويقول أن هدى تنتقم منه وتكره وجوده في المنزل بعدما امسك بها وصديقها يمارسان الجنس في المنزل في عدة مناسبات، وفي إحدى المرات عندما قبض على صديقها يتسلل إلى غرفتها، واجههما. في ذلك الوقت، هددت هدى بأنها ستخبر والديها أنه اغتصبها.

علماً ان الوسيلة الأكثر موضوعية للتحقيق هي الانتظار ومعرفة ما يظهره مجموع الأدلة، الا انه عندما توصّل المحقق «وائل» الى أن المشتبه به في قضية التحرش بهدى كان مرتكباً جنسياً، ارتفع إيمانه بذنب المشتبه به من دون أي دليل يدعم ذلك، مما دفعه للسعي لإيجاد أدلة لتأكيد فرضية الذنب، فقام بالاستحصال على وثيقة تسجيل سليم في السجل المحلي

**قد يبحث المحقق، من طائفة معينة، فقط عن الأدلة التي تجرّم المدعى عليه من طائفة اخرى، وبناء فرضيته بدلاً من اتباع القرائن والحقائق**

لمرتكبي الجرائم الجنسية. وبما انه يعاني من ضائقة اقتصادية خانقة ومعاشه لا يكفي احتياجات منزله الأساسية، سيما أن لديه أربعة أطفال، بدأ يفقد اندفاعه لاستكمال التحقيقات، وتوصل الى حكم مسبق بإدانة المشتبه على ضوء هذه الأدلة فقط.

أما المحقق ماجد، لديه استقرار مالي أكثر من وائل وهو يعتمد بشكل كامل على المساعدة المالية الشهرية التي يرسلها له اخوه من الاغتراب، قام بمتابعة التحقيق بهدف تقييم الأدلة جميعها في وقت واحد، من دون التوصل إلى استنتاج بعد مراجعة كل دليل، وبالتالي لم ينشأ الاعتقاد بالذنب على نفس المستوى الذي توصل له وائل. فتابع المحقق ماجد التحقيق على النحو التالي:

مقابلة مع صديق هدى - ذكر الصديق أنه وهدى يمارسان الجنس بشكل شبه يومي وأنهما مارسا الجنس في صباح يوم الحادث المبلغ عنه. وقال أيضاً إنه لم يستخدم الواقي الذكري.

مراجعة السجل الجنائي للمشتبه به - تبين ان سليم أدين بجناية تتعلق بممارسة الجنس مع صديقته البالغة من العمر 16 عامًا عندما كان يبلغ من العمر 18 عامًا.

متابعة التحقيق - في مقابلة متابعة سليم أفاد أنه أجرى عملية قطع قناة المني منذ سنوات، فلم يعد ينتج الحيوانات المنوية في السائل المنوي، وقدمت السجلات الطبية تأكيدا على افادة المشتبه به.

مقابلة الشهود- أحد الجيران لاحظ شخصًا يدخل ويخرج من نافذة في الطابق العلوي للمنزل، ولم يكن من الممكن تحديد هوية هذا الشخص.

متابعة التحقيق - في مقابلة متابعة مع هدى، ذكرت أنها تريد فقط أن «يختفي» الأمر برمته وأنها لم تعد ترغب في متابعة التهم ضد عمها.

تقرير المختبر - تمت مطابقة الحمض النووي المرفوع من مسرح الجريمة مع البصمة الوراثية لهدى وتضمنت أيضا بصمة وراثية من حيوانات منوية من ذكر مجهول الهوية.

ما حدث في الحالة الأولى يسمى «الانحياز التأكيدي»، أي عندما يؤمن المحقق أو يبحث عن دليل يدعم نظريته «المفضلة» بينما يتجاهل الأدلة غير المؤكدة ويكون غير راغب في تغيير معتقده بمجرد وصوله إلى نتيجة. فالمواقف والعواطف والمعتقدات السابقة هي عوامل قوية في الانحياز التأكيدي لأنها تتضمن عمومًا معتقدات عميقة الجذور. على سبيل المثال، قد يكون الاعتقاد بشأن ذنب المشتبه به نتيجة لرغبة مفرطة في حماية الأطفال أو شكوك حول طبيعة عودة مرتكبي الجرائم الجنسية المسجلين إلى الإجرام.

علماً انه على العكس من ذلك، تتطلب الطبيعة الديناميكية للأدلة أن يُفهم السياق بشكل صحيح. بينما في ظاهره، قد يبدو أن الدليل يميل بطريقة أو بأخرى الى استنتاج معين، لكن السياق مطلوب لفهم مجمل الظروف بالكامل، وتجنب اتخاذ القرار الخاطئ.

يُفترض بالمحقق الجنائي ان يعلّق الشك ويصل إلى الاعتقاد بالذنب او بالبراءة من خلال التحقيق الشامل في جميع الأدلة والمعلومات الأخرى غير المؤكدة، لإدراك الأنماط المعقدة والبحث عن الأدلة الإضافية واستنباط الاستدلالات العلمية التي قد تؤدي إلى أدلة قيمة. فإن التحقيق الجنائي عمل شاق، وطويل، ومعقّد والمحقق الناجح قادر على الحفاظ على الدافع والمثابرة لرؤية وحل القضية - مهما كانت النتيجة.



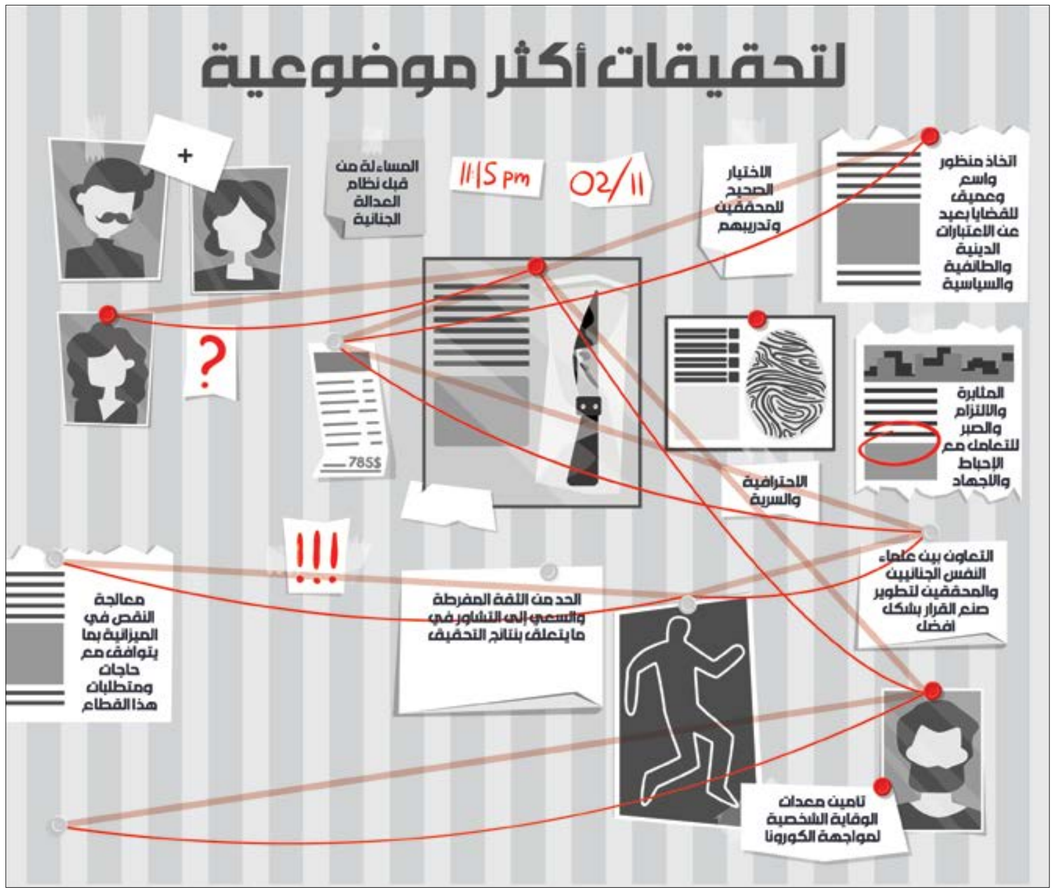

في الواجهة

# «ألف باء القانون» لنيابة عامة أسرية

■ فداء عبد الفتاح، سوزان هاشم، نائلة نحلة

وسط غابة بعيدة عن أي بشري، وفي غرفة تفتقر إلى أبسط مقومات الحياة، عاشت ريتا سبع سنوات من الجحيم. في السابعة عشرة من عمرها، تزوجت رجلًا يكبرها بـ 30 عامًا، وظنّت أنها نجت من العنف الذي تعرضت له في منزل والديها منذ نعومة أظافرها، لتجد نفسها أمام مسلسل جديد من العنف طالها وابنتيها اللتين أنجبتهما منه. بعد سنوات من المعاناة انتفضت ريتا على واقعها طمعاً في إنقاذ طفلتيها، وتمكنت وبمساعدة إحدى المحاميات المتطوعات من استصدار قرار حماية من قاضي الأمور المستعجلة. لكن - ويا فرحة ما تمّت - رغم ثبوت تعنيف الوالد وخوف الطفلتين المخفر، أصدر القاضي قرار مشاهدة للوالد، من دون أن يأخذ في الاعتبار الحالة النفسية للطفلتين ووالدتهما، ومن دون أن يستشير على الأقل اختصاصيين في الأمر، معتبرًا بقراره هذا أن الشرع يضمن للوالد حق رؤية الأولاد بغضّ النظر عن مضمون قرار الحماية. والمفارقة أنه في أول لقاء مشاهدة، تم بحضور موظف المحكمة، كانت ردة فعل الطفلتين مؤلمة، لجهة هلعهما ورفضهما لقاء أبيهما، ما جعل الأم ترفض إنفاذ القرار لاحقًا، مهما كانت العقبات.

وفي السياق عينه، تمكّنت سهى، وهي أم لأربعة أولاد، من الحصول على قرار حماية جرّاء تعرضها للعنف الجسدي والمعنوي من قبل زوجها. إلا أنها لم تستطع استثمار هذا القرار وترجمته على أرض الواقع، بعد إدراكها أنه لا توجد آليات لضمان تنفيذه عبر تأمين مساحة داعمة وآمنة لها ولأولادها مما يمكن التعرّض له من المجتمع. ورغم أنها مستقلة ماديًا كونها تعمل، إلا أنها لم تتمكن من تحرير نفسها من سطوة مَعنفها فقررت العودة إلى منزلها والاستمرار معه في حياتها المحفوفة بالمخاطر.

هكذا، ورغم أهمية قانون العنف الأسري الذي أُقرّ في 2014، إلا أنه ظلّ عاجزًا عن تحقيق الأهداف المرسومة له، في غياب نيابة عامة أسرية تضمن تطبيق هذا القانون كونها المخوّلة، عبر جهازها المؤهل والمختص، حماية العائلة بكل أفرادها وتأمين المساحة الآمنة لها، ورعاية آليات تنفيذه، خاصة لجهة احترام حقوق الطفل التي تنتهك خلال تنفيذ بعض الأحكام المرتبطة به (حضانة/ مشاهدة). وهذه الانتهاكات قد تكون أحيانًا من قبل من هم مولجون بحمايتها خلال تنفيذ قرارات المحاكم الشرعية.

فمشهد توقيف والد سامر أمام عينيه ما يزال محفوراً في ذاكرته ووجدانه المهشّم. الطفل الذي لم يكن يتجاوز الـ 11 عامًا حينها، والذي كان من حق أمه في الحضانة رفض العيش معها مختارًا البقاء مع والده، وكان يرفض في كل زيارة للأب، إنفاذًا لحكم المشاهدة، العودة الى أمه. الأمر الذي دفع بالأم الى استصدار قرار من دائرة التنفيذ بحبس الوالد بذريعة عدم تسليم الطفل لأمه، في حين أن الطفل هو من كان يرفض العودة إليها. ومن دون الأخذ في الاعتبار حالة الطفل النفسية تمّ توقيف الأب أمام عينَيه، وسُلّم الى أمه داخل ترسخ في وجدانه طويلاً.

من خلال ما طرح أعلاه يبدو واضحًا أن لنظام الأحوال الشخصية الحالي تداعياته السلبية على القضايا الأسرية وعلى آليات تنفيذ القرارات المتعلقة به الصادرة عن القضاء العدلي، سيّما بوجود تداخل بين الشرعي والمدني وغياب أي دور رقابي لضمان حماية أفراد العائلة وبشكل خاص الأولاد.

من هنا جاءت فكرة طرح مشروع نيابة عامة أسرية على رأسها نائب عام متخصص بشؤون الأسرة يعاونه محامون عامّون متخصصون، تقسم المهام بينهم وفقًا لخبراتهم بين قضايا جزائية كملفات العنف الأسري وتداعياتها، وقضايا مالية كمواضيع تنفيذ قرارات النفقة، وقضايا عائلية (الحضانة والوصاية والمشاهدة وما ينتج منها).

### ضابطة اسرية خارج الاطار «العسكري»

لا يمكن الحديث عن إنشاء نيابة عامة أسريّة من دون ربط ذلك بإنشاء ضابطة عدلية أسرية، إذ يستحيل على الأولى القيام بمهامها دون مساعدة هذا الجهاز الذي ينفذ إشاراتها وقراراتها ويعمل تحت إشراف وزارة الداخلية ووزارة الشؤون الاجتماعية.

وإذا كانت الضابطة العدلية في قانون أصول المحاكمات الجزائية اللبناني هي التي تتولّى التحقيق الأولي في الجرائم وتقوم بجمع المعلومات اللازمة عنها، والبحث عن مرتكبيها وضبطهم وإحالتهم إلى النيابة العامة التي بدورها تحيلهم الى المرجع القضائي المختص، فإن الضابطة العدلية الأسرية بإعتبارها الأداة التنفيذية للنيابة العامة الأسرية، لا يمكن أن تقوم بمهامها إلا عبر عناصر مؤهلة ومدرّبة على التدخل في النزاعات الأسرية، من خلال تقديم التوجيهات اللازمة لحماية كل أفراد الأسرة، شرط أن يكون هؤلاء العناصر مؤهلين ومدرّبين على كيفية التدخل مع مراعاة الوضع النفسي والاجتماعي لأفراد الأسرة وبشكل خاص الأطفال.

أضف إلى ذلك، وحرصًا على حماية حقوق الطفل فإنه ينبغي على عناصر الضابطة العدلية الأسرية، عند تنفيذ القرارات الصادرة عن المحاكم الدينية (مشاهدة - حضانة) والمتعلّقة بتسليم القاصرين، ارتداء اللباس المدني بدلًا من البزّة العسكرية، لما يمكن أن يترك هذا المظهر من ندوب في نفسية الطفل يصعب إزالتها، كما ينبغي استحداث مراكز اجتماعية تابعة للضابطة العدلية الأسرية خارج الأسوار الأمنية (مخافر، فصائل..)، تكون معدّة ومجهّزة بكادر بشريّ مؤهّل للتعاطي مع مختلف الحالات، ويتضمّن مندوبًا اجتماعيًا على الأقل.

تجدر الإشارة إلى أنّه، رغم عدم وجود ضابطة عدلية أسرية حتى اللحظة في لبنان، إلّا أن قانون حماية النساء وسائر أفراد الأسرة، قد أشار في مادته الخامسة إلى ضرورة إنشاء "قطعة متخصصة بجرائم العنف الأسري لدى المديرية العامة لقوى الأمن الداخلي، تغطي كافة الأراضي اللبنانية، ويراعى في تشكيلها وجود عناصر من الإناث، وأن يكون عناصرها مدربين تدريبًا كافيًا على حلّ النزاعات والتوجيه الاجتماعي. وكذلك نصت المادة عينها على أن التحقيق الذي يجرى من قبل هذه "القطعة" يكون بوجود مساعدين اجتماعيين عارفين بالشؤون الأسرية وحلّ النزاعات، يتمّ اختيارهم من قبل وزارة الشؤون الاجتماعية.

> **كيف يسمح لأحد الابوين باستخدام الطفل كاداة للابتزاز ضد الطرف الآخر وتجاهل الحالة النفسية للطفل؟**

وفي السياق عينه تضمّن التعميم الصادر عن النيابة العامة التمييزية (76/ص/2018) الطلب من قضاة النيابة العامة تكليف الضابطة العدلية، لدى قيامها بتنفيذ قرارات قضائية تتعلّق بحضانة وتسليم الأطفال والقاصرين، الاستعانة بمندوب اجتماعي وتدوين ذلك في المخفر. ولكن أين نحن من تطبيق التعميم أو المادة الخامسة من القانون المذكور أعلاه؟

ففي ظلّ الأزمة الحالية بالكاد تستطيع قوى الأمن الداخلي القيام بمهامها العادية - التقليدية، وهو عجز ينكشف يومًا بعد يوم، إذ تشهد هذه المؤسسة شكًا واضحًا في العديد والعتاد، سيّما بعد تسرّب عدد لا يستهان به من عناصرها. ومهما يكن، فإن التجربة أكدت أن الضابطة العدلية لم تفلح في حلّ النزاعات الناشئة عن العنف الأسري، كذلك في موضوع تسليم الأولاد، من هنا أهمية إنشاء ضابطة عدلية أسرية مختصة ومؤهّلة، تخلع عنها تمامًا الثياب العسكرية التقليدية!

بطاقة تعريف

## «ألف باء القانون»

مجموعة أصدقاء وزملاء عمل جمعتهم ساحات النضال القانوني والتربوي والاجتماعي والثقافي والسياسي والتنموي. العمل على بناء المجتمع من خلال استهداف وعي الفرد ومحو اميته القانونية هو الهدف الاساسي لها. لان التمكين القانوني للفرد يحميه من الانتهاكات اليومية التي يتعرض لها سواء كان لبنانيا او مقيما على الارض اللبنانية. انطلقت "الف باء القانون" في عملها من خلال ورش توعية قانونية في المدارس والمخيمات. وتقوم الجمعية بتنفيذ برنامج عملها من خلال متطوعين متوعين بفكرتها بدون اي تمويل خارجي من اي جهة كانت.



## محاكم ونيابات عامة أسرية على امتداد الدول العربية

على عكس لبنان اتجهت أغلب الدول العربية إلى استحداث محاكم مختصّة للنظر بكافة المسائل الأسرية والفصل فيها، وهنا يكون للنيابة العامة دور أساس ومحوري فيها.

أول من أنشأ محكمة الأسرة في الدول العربية هي جمهورية مصر العربية، إذ صدر قانون عام 2004 أدخل العديد من الإصلاحات من بينها استعانة المحكمة بخبيرين أحدهما نفسي والآخر اجتماعي في بعض القضايا المحددة قانونًا، على أن يكون أحدهما على الأقل من النساء. كما تمّ إنشاء نيابة متخصصة في شؤون الأسرة تتولّى المهام المخوّلة للنيابة العامة أمام محاكم الأسرة ودوائرها الاستئنافية.

- في منطقة الخليج، قامت دولة الكويت، على سبيل المثال، بإنشاء محكمة الأسرة سنة 2015، وإنشاء نيابة متخصصة بشؤون الأسرة تتولّى المهام الموكلة للنيابة العامة في قضايا الأحوال الشخصية، وينشأ بكل محافظة مركز يلحق بمحكمة الأسرة، يتولى تسوية المنازعات الأسرية وحماية أفراد الأسرة من العنف والإيذاء الذي يقع من أحدهم على أفرادها الآخرين، ويكون اللجوء إلى المركز بدون رسوم. وتنشأ أيضًا بمقر كل محكمة، إدارة خاصة لتنفيذ الأحكام، ومركز أو أكثر يخصص لتسليم "المُحْضون" ورؤيته.

- في قطر صدر عام 2006 قانون الأسرة القطري، بحيث تضمن المسائل المتعلقة بالأحوال الشخصية، ومنها ذات صبغة مالية (أحكام المهر، قواعد الميراث، إنفاق)، وأخرى غير مالية كإبرام عقود الزواج والالتزامات الشخصية بين الزوجين، والنسب والحضانة؛ إضافة إلى تنفيذ هذه الأحكام.

كذلك وحفاظًا على راحة المتقاضين وخصوصية القضايا الأسرية تمّ نقل مقر محكمة الأسرة عام 2018 إلى مبنى خاص ومستقلّ بها.

- في السعودية تمّ إنشاء دوائر متخصصة في القضايا الأسرية في فروع النيابة العامة، حفاظًا على سريتها من جهة، ولتقديم ما يلزم لبعضها من المعونة الاجتماعية في الإرشاد والإصلاح من جهة أخرى.

- أما المغرب فقد أولى اهتمامًا كبيرًا للنيابة العامة إذ اعتبرها طرفًا أصليًا في جميع قضايا الأسرة، حيث أخذ بنظام تدخّل النيابة العامة في هذه القضايا. وحفاظًا على استقرار معاملاتها، أعطاها دور التقاضي إما مُدّعِية أو مُدَّعى عليها، بالإضافة إلى حضورها في الجلسات، وبالتالي ممارسة كل ما يمارسه الخصوم في الدعاوى من تقديم للحجج، والمستندات، كذلك استخدام كافة وسائل الطعن الممنوحة للأطراف.

هذه الأمثلة ليست حصرية، فالعديد من الدول العربية الأخرى اعتمدت نظام محكمة الأسرة والنيابة العامة الأسرية بالاضافة إلى الضابطة الأسرية (الشرطة الأسرية في العراق والسعودية) المولجة تنفيذ الأحكام والقرارات. بناء عليه لا بد للمشرع اللبناني والعربي من خلق التكامل بين قانون موحّد للأحوال الشخصية ومحكمة أسرة تطبق أحكام هذا القانون بمساعدة نيابة عامة أسرية وضابطة مختصة مع الأخذ في الاعتبار التوجيه الأسري.

في العمق

تُعاني المرأة من العنف الموجه ضدها باشكال مختلفة، سواء المعنوي او الجسدي. ورغم كل محاولات الدول والمنظمات الحكومية وغير الحكومية لمواجهة هذه الظاهرة الخطرة، لا تزال الارقام والمؤشرات في تزايد مستمر. ويعود ذلك إلى غياب المعالجة الجدّية التي تتطلب وضع خطة متكاملة لإنهاء هذه الظاهرة التي لا توثر فقط على المرأة إنما على المجتمع بأكمله. فالمرأة هي نصف المجتمع، والمسؤولة عن تربية أبنائها تربية صحيحة. لذلك ينعكس العنف سلباً عليها وعلى اطفالها، ويؤسس لبيئة مجتمعية تتخذ من العنف وسيلة للتعامل بين افرادها

# العنف ضد النساء باقٍ... ويتمدّد

■ سمر فرحات

العنف ضد المرأة ظاهرة عالمية لا يقتصرعلى مجتمع دون آخر. وتشير الاحصاءات إلى أن إمرأة من كل اثنتين تتعرض للعنف في العالم. وبحسب تعريف الأمم المتحدة، فإن العنف الممارس ضد المرأة هو "أي فعل عنيف تدفع إليه عصبية الجنس، ويترتب عليه أذى أو معاناة للمرأة سواء من الناحية الجسمانية أو الجنسية أو النفسية". وقد سعت الأمم المتحدة إلى مكافحة هذه الظاهرة، واعتمدت في قرارها 104/48 الإعلان بشأن القضاء على العنف ضد المرأة، وحددت يوم 25 تشرين الثاني "اليوم الدولي للقضاء على العنف ضد المرأة" لتعريف الشعوب والمجتمعات الى خطورة هذه الظاهرة التي تسببت بمقتل نساء كثيرات حول العالم.

في لبنان، تركت الأوضاع الإقتصادية والإجتماعية والصحية تداعيات خطرة على المجتمع اللبناني بشكل عام، والمرأة بشكل خاص. فالتقارير الصادرة عن قوى الأمن الداخلي أشارت إلى إرتفاع عدد البلاغات عن العنف الأسري بنسبة 100 في المئة، بعدما وصلت الى 1184 إتصالاً خلال الحجر الصحي عام 2020.

العديد من النساء كسرّن حاجز الصمت، خصوصاً بعد إقرار قانون "حماية النساء وباقي أفراد الأسرة" رقم 293 الذي أقر في 2014، وبعد حملات التوعية التي تقوم بها منظمات تعنى بشؤون المرأة. لكن، في المقابل، لا تزال هناك قصص كثيرة خلف الأبواب لم ترَ. وقد كشفت الحوادث الأخيرة التي قُتل فيها عدد من النساء على أيدي أزواجهن بطريقة وحشية، أن العوائق أمام حماية المرأة لا تزال كبيرة أمامهن. فما هي هذه العوائق؟ وكيف يمكن تشجيع النساء أكثر على تحدي خوفهن وطلب الحماية؟

### لا حل إلا بقانون موحد للاحوال الشخصية

الحديث عن العنف يوجب البحث عن أسبابه، والمعالجة الحقيقية، بحسب المحامية ليلى عواضة، العضو المؤسس لمنظمة كفى غير الحكومية، تبدأ بإقرار قانون موحّد للأحوال الشخصيّة، إذ أن الواقع الحالي "يكرّس التمييز بين المرأة والرجل، ولا ينظر للمرأة على أنها فرد مستقل بل فرد تابع. فالمرأة منذ ولادتها تسجل على خانة والدها في سجلات النفوس، ثم تنتقل إلى خانة زوجها، فلماذا لا تكون لها خانة مستقلة تستطيع لاحقاً أن تسجل أولادها فيها؟". وتضيف: "النظام العشائري الذي كان قائماً تم إستبداله بالنظام العائلي المرتكز إلى فكرة أبوية. أصبح الرجل هو صاحب السلطة والمسؤول الوحيد عن الأسرة، وأعطى لنفسه الحق بمعاقبة المرأة وحتى تأديبها. لذا يجب تحويل هذا النظام الأبوي إلى نظام والدي تكون المرأة فيه شريكة في العلاقة الوالدية".

وتعزو عواضة سبب العنف الأساسي إلى التفاوت في علاقات السلطة. فالزوج يملك قرار الطلاق عند بعض الطوائف، ويقوم بإبتزاز الأم لرؤية أولادها في حال طلبت الطلاق، أو يطلبها لبيت الطاعة. لذا فإن القانون الموحّد يساوي بين الرجل والمرأة ويحفظ حقوقها، وهو لا يهدّد معتقدات الأفراد كما يروّج رجال الدين، بل تصبح الدولة هي المسؤولة عن تنظيم شؤون الأسرة عوضاً عن المحاكم الشرعية.

وعن دور المنظمة في مساعدة النساء وحمايتهن، تقول عواضة إن نشر الوعي هو الهدف الأول للمنظمة من خلال فيديوهات التوعية، وتوضيح كل ما يتعلق بقوانين حماية المرأة وأطفالها من العنف.

أما في ما يتعلق بالحماية المباشرة، فلدى المنظمة "نوعان من التدخل؛ تدخل طارئ في حال كانت السيدة بحاجة إلى حماية فورية، فنقوم بإستقبالها وتأمين ملجأ لها. وتدخل غير طارئ؛ يشمل مساعدة السيدة من خلال أخصائية إجتماعية، وتقديم إستشارة قانونية ودعم نفسي. وبناءً على خطة تضعها السيدة تقوم المنظمة بمتابعتها ومواكبتها".

**المطلوب إقرار تعديلات على القانون 293 في مجلس النواب كي لا يبقى تطبيقه مرتبطاً بشخصية القاضي**

وتخلص عواضة إلى أن "الدولة ما زالت بعيدة عن مكافحة العنف ضد النساء، لأنها لا تعترف بوجود هذا العنف، وهذا ما تبين أثناء إقرار قانون 2014/293 الذي قُدم على أساس حماية النساء، فتم تعديله وتسميته بقانون حماية النساء وسائر أفراد الأسرة من العنف الأسري، لأن العقلية الذكورية هي الأساس وهي الحاضرة على طاولة مجلس النواب".

### العوائق القضائية

في إطار مواكبة منظمة كفى لتطبيق قانون 2014/293 وتحليل قرارات الحماية الصادرة في العامين 2018 و2019، أشارت المنظمة إلى بعض الثغرات القضائية التي تضمّنها القانون، واعتبرت أن عدم توحيد النهج القضائي في تطبيقه من شأنه أن يؤثر على ثقة الضحية بالقضاء والقانون، وتتحول هذه الثقة الى شخص القاضي. ولفتت الى أن بعض القضاة المدنيين أظهروا حرصاً على المحاكم الطائفية وعلى صلاحياتها وكأنهم حرّاس هذه المحاكم. لذا كان من بين التوصيات التي رفعتها المنظمة:

- إقرار التعديلات على القانون 293 في مجلس النواب كي لا يبقى تطبيقه مرتبطاً بشخصية القاضي.
- عقد دورات للقضاة على مفاهيم العنف المبني على العنف الإجتماعي وعلى خلفية القانون 293.
- إنشاء محكمة أسرية متخصصة في القضاء المدني، تنظر فقط في جرائم العنف الأسري وفي جرائم قتل النساء وتُصدر قرارات الحماية.

### العوائق المجتمعية

تُمثل القوانين عنصراً رادعاً في مكافحة العنف ضد المرأة، إلّا أن الزيادة الصادمة في العنف ضد المرأة إبان جائحة كورونا، والتي تعدّت في بعض الدول المتقدمة مثل فرنسا الـ 30%، أظهرت أن بعض المجتمعات لا تزال تعاني من غياب الثقافة المجتمعية، وأن النظرة الى المرأة لا تزال تخضع لمنظومة من التقاليد والأعراف تحكمها العقلية الذكورية.

فالتنشئة الأسرية لها دور كبير في تكريس المساواة بين الرجل والمرأة، أو تكريس النظرة الدونية إلى المرأة كجزء من الفئات المهمشة التي من المقبول إجتماعياً تعنيفها أو مصادرة رأيها. وليس تزويج القاصرات إلا دليلاً على هذه التجاوزات التي تحصل بحق بعض النساء. كما أن البعض يتخذ من الدين حجة لضرب المرأة، وهذا ما تنفيه كل الروايات والأحاديث التي تشدّد على إحترام المرأة ومكانتها في الأسرة والمجتمع.

المشكلة إذن ليست في وجود قوانين، بل في تطبيقها والتساهل مع مرتكبي العنف، وفي اعتراف المجتمع بأن الخلافات الأسرية قابلة للحل عن طريق المحاكم، وليست حالات خاصة يحكمها مبدأ "العيب" و"التستر".

أما العنصر الآخر، الذي لا يقل أهمية عن القانون، فهو الاستقلالية المادية للمرأة. إذ أن تمكين المرأة إقتصادياً يساعدها على التحرر من الواقع الذي تعيشه، ويؤهلها لحضانة أطفالها في حال حدوث الطلاق.

### لأني إمرأة

في القرن الواحد والعشرين، لا تزال أسماء النساء تتصدر قائمة ضحايا العنف الجسدي. العنف الذي يلاحق المرأة ويقتلها في ما يُفترض أنه أكثر الأماكن أمناً لها، وهو منزلها.

من لطيفة قصير، إلى رولا يعقوب، زينة كنجو، ليليان علّوه، رقية منذر، زهراء القبوط، رنا بعينو، سارة الأمين، وغيرهن. أسماء لنساء قُتلن بأبشع الطرق. وكان عام 2020 قد سجل العدد الأكبر من حالات قتل النساء. وأفاد المرصد الإعلامي في منظمة "أبعاد" بأنه تأكد عبر رصده لجرائم العنف والقتل الموجّهة ضد نساء وفتيات، أن 11 ضحية قُتلن نتيجة عنف أسري عام 2019، و12 عام 2020، و5 عام 2021.

واليوم، قصص كثيرة تنتظر من يرويها، لنساء يراودهن الخوف في كل لحظة بأن يلقين المصير نفسه. وعندما نسأل عن السبب الذي يمنع المرأة من التبليغ عن العنف الموجه ضدها، يكون الجواب: "عندي ولاد وبدي عيش معن".

سلمى، سيدة في العقد الثالث من عمرها، وأم لولدان. تقول إن زوجها عصبي بطبعه لكن الأزمة الإقتصادية زادت من عصبيته، ولم يتحكم بنفسه في مرات عدة، فقام بضربها لأتفه الأسباب، لكن خوفها من خسارة حضانة أولادها أجبرها على تحمل هذا الوضع.

أما ليلى، وهي أم لثلاثة أولاد، فقد حصلت على طلب حماية بعد تبليغها عن تعرضها لعنف جسدي من زوجها، إلا أنها عادت وتراجعت عن قرارها بعدما واجهت إنتقادات من عائلتها ومجتمعها. تقول: "إذا ما في حدا يدعمني ما فيني آخد هيك قرار لحالي".

وتقول رنا، وهي أم لطفل وحيد، وتتعرض منذ زواجها لأشكال عدة من العنف اللفظي والمعنوي وحتى الجسدي، بأن وضعها المادي لا يسمح لها الآن برفع دعوى طلاق لأنها من عائلة فقيرة ولا تملك عملاً. وتضيف "بس لاقي شغل ما رح إبقى يوم واحد".

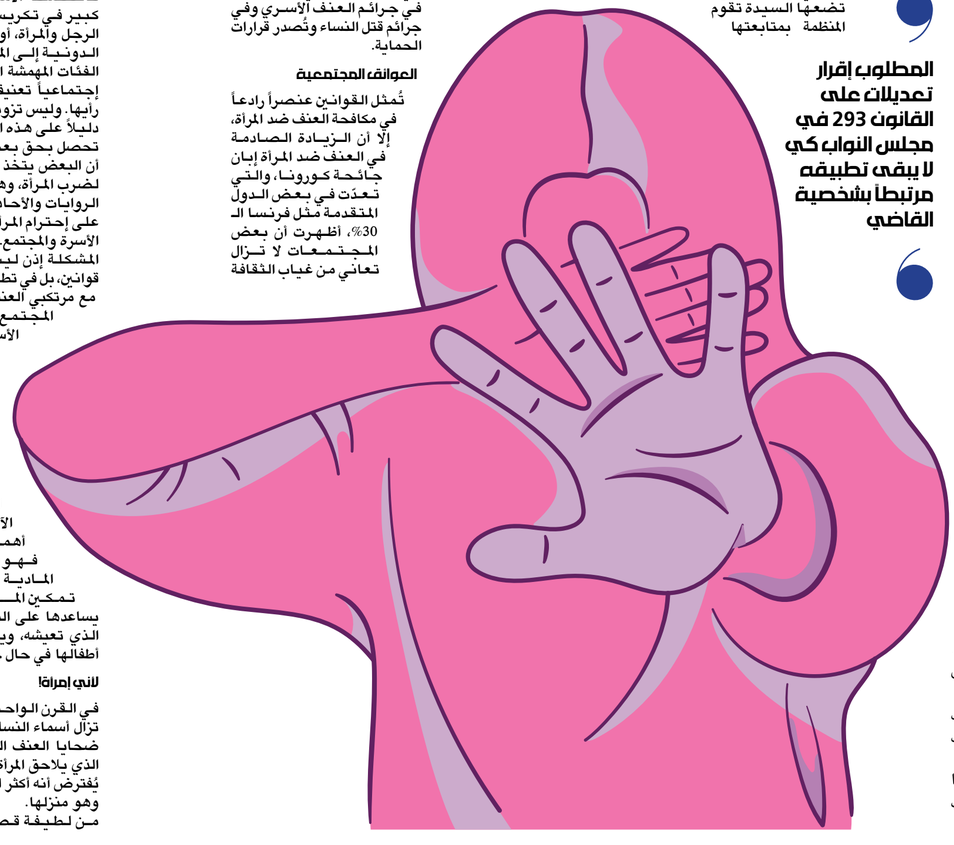

## الحماية... «دايماً وقتها»

رغم الوضع الاقتصادي الحالي والظروف الصعبة التي يشهدها لبنان، تبين أن إمرأة من كل 5 نساء ترى أن أولويتها في الوقت الحالي هي "الحماية"، وذلك في دراسة إحصائية أجرتها منظمة أبعاد حول "أولويات الفتيات والنساء في لبنان اليوم ومدى شعورهنّ بالحاجة الى الحماية".

وأشارت الدراسة أيضاً إلى أن 96 في المئة من الفتيات والنساء اللواتي تعرضن للعنف المنزلي في لبنان لم يبلّغن عن هذا العنف خلال 2021. وأن 2 من كل 5 نساء تمتنعن عن التبليغ بسبب الخوف من ردة فعل الجاني.

واعتبر 62.4 في المئة من العينة التي شملتها الدراسة أن التحديات الإقتصادية هي في رأس قائمة التحديات التي يواجهنها، تليها التحديات الاجتماعية بنسبة 22.6 في المئة ثم التحديات النفسية 11.6 بالمئة.

الدراسة جاءت ضمن حملة قامت بها منظمة أبعاد بعنوان #دايماً_وقتها للتأكيد على أن حماية النساء هي أولوية في كل الأزمات، ولتعريف النساء على حقوقهن في التبليغ عن أي عنف قد تتعرضن له.

## أمهات مُعنّفات... ماذا عن الأطفال؟

يُشار إلى الأطفال الذين يعيشون في أسرة معنفة على أنهم "ضحايا الظل" لما للعنف الذي تتعرض له الأم من انعكاسات خطرة على نفسية الطفل، تبدأ من مرحلة الطفل الرضيع حتى مرحلة ما بعد البلوغ. ومن أخطر هذه الآثار:

عندما يقوم الطفل بتبرير العنف ويطمح لتبني أفكار والده.

أما الفتاة فقد تتكون لديها قناعة بكونها "ضحية"، وأن العنف هو ظاهرة معتادة ومقبولة. كما أن الاطفال الذين ينشأون في أسرة معنفة يصبح لديهم ميل أكبر لإستخدام العنف، إن كان في المدرسة أو في الشارع، ويتعرضون أكثر من غيرهم لحالات الإكتئاب والتأخر المدرسي والإنطواء.

القضية المركزية

# عمالة الأطفال في الداخل المحتل

**في السادس من كانون الأول الماضي، عمّت فلسطين أجواء من الحزن والسخط، خصوصاً بلدة عقربا التابعة لمحافظة مدينة نابلس، بعد وفاة ثمانية أطفال في حادث سير لدى عودتهم من العمل في مستوطنات إسرائيلية في منطقة الأغوار قرب أريحا. أعادت الحادثة تسليط الضوء على عمالة الأطفال الفلسطينيين في المستوطنات والداخل المحتل، والتي تصدّرت تقارير منظمات حقوقية كثيرة سابقاً**

■ نداء يوسف

برزت ظاهرة العمالة الفلسطينية في الداخل المحتل منذ قيام دولة الاحتلال، لأسباب عدة أهمها تدني الأجور في الأراضي التابعة للسلطة الفلسطينية وغياب اقتصاد فلسطيني مستقل عن اقتصاد الاحتلال. وبعد قيام سلطة فلسطينية بحسب اتفاق أوسلو، أدى توقيع بروتوكول باريس الاقتصادي إلى استحالة خلق اقتصاد منفصل عن اقتصاد الاحتلال، وإلى تبعية اقتصادية مطلقة للاحتلال، تنال من خلالها السلطة بعض التسهيلات، وبالكاد يصل إلى الشعب بعض الفتات. لا بل يتم تشجيع انتقال العمالة الفلسطينية للعمل في الداخل بأمر من سلطات الاحتلال وسياساته التي ترى في ذلك فوائد على صعد عدة، أهمها وفرة الأيدي العاملة الفلسطينية وقلة كلفتها مقارنة بالأيدي العاملة الإسرائيلية، إضافة إلى أنّ تشغيل العمّال الفلسطينيين يحرّر المشغّلين من التزامات حقوقية اتجاه العمّال. فالعامل الفلسطيني لا يعامل معاملة العامل الإسرائيلي. وسياسياً، تعدّ سياسة فتح باب العمل باباً للتنفيس والمهادنة، إذ أن الحرمان من لقمة العيش قد يكون من أسباب التمرّد والانتفاض غضباً على المحتل، فيما فتح باب العمل من خلال منح تصاريح لعمّال البناء والمقاولات الفلسطينيين يسكت الفلسطيني بلقمة عيشه ويهدّئ ناره التي قد تشتعل غضباً في أي لحظة.

### عمالة الأطفال بحسب القانون الدولي

تنتشر ظاهرة عمالة الأطفال في المستوطنات والداخل، خصوصاً في القرى القريبة من الخط الأخضر. ولأنّ الأطفال دون السن القانوني لا يمكنهم الحصول على تصاريح رسمية للعمل تعرّض مؤسسات الاحتلال لانتقادات دولية وضغط منظمات حقوقية، فإن نسبة الخطورة في عمل الأطفال في الداخل أكبر. إذ يتم تهريبهم بطرق «غير مشروعة» تعرّضهم لخطر الاعتقال، بل وحتى خطر الإصابة برصاص قوات الاحتلال القريبة من جدار الفصل العنصري ونقاط التهريب. وأثناء تهريبهم، يواجهون خطر عدم التمكّن من إثبات حقوقهم، وبالتالي قد يتهرّب مشغّلوهم من دفع كامل أتعابهم مستغلين صغر سنهم وخوفهم من التوجه للشرطة التي ستعتقلهم بدلا من ملاحقة المشغّل.

تعتبر عمالة الأطفال انتهاكاً لحقوق الطفل. فبحسب اتفاقية حقوق الطفل، تحديداً المادة 32، على الدول الأطراف حماية الطفل من الاستغلال الاقتصادي، ومن القيام بأي عمل قد يكون خطيراً، أو أن يعيق تعليم الطفل، أو أن يؤثر بصحته أو بنموّه البدني، أو العقلي، أو الروحي، أو المعنوي، أو الاجتماعي. وقد قامت منظمة العمل الدولية بتاسيس الاتفاقية رقم 183 والتي تركز على أهمية تحديد الحد الأدنى لسن العمل، وتؤكد على تجريم عمالة الأطفال دون السن القانوني وانتهاكه لحقوقهم. إضافة إلى ذلك، أسست المنظمة اتفاقية 182 بشأن أسوأ أشكال عمل الأطفال، والتي تتناول موضوع عمالة الأطفال بجدية، وبلهجة شديدة الحرص على حق الطفل في الحماية من الاستغلال الاقتصادي، خصوصاً أسوأ الأشكال استغلالاً التي يتعرض فيها الطفل لخطر فقدان حياته أو صحّته الجسدية والنفسية. وقد يصل هذا الانتهاك في الحالة الفلسطينية إلى حد اعتباره صورة من صور الإتجار بالبشر لغرض العمالة القسرية في حال كانت هناك وسيلة إجبار أو إكراه من قبل المشغّل أو العائلة التي تدفع بأطفالها للعمل.

> لأنّ الأطفال دون السن القانوني لا يمكنهم الحصول على تصاريح رسمية للعمل تعرّض مؤسسات الاحتلال لانتقادات دولية وضغط منظمات حقوقية

### من المسؤول؟

طرح هذا السؤال عند الحديث عن آفات اجتماعية معيّنة لدى الشعوب المستعمَرة يستدعي العديد من الأجوبة ذات الأبعاد النفسية المجتمعية. كثيراً ما نسمع عبارات كـ «نحن (العرب/الفلسطينيون) معيبون بكذا وكذا وهم (الغرب المستعمرون) أفضل وأنجح و... إلخ»، والتي تنم عن عقدة النقص وعقدة العار واتحادهما في نفس الإنسان المقهور المستعمر بحسب وصف المفكر مصطفى حجازي المختص في علم النفس الاجتماعي. وعلى صعيد آخر، تعلو أصوات تعلّل الحال القائمة بوجود الاستعمار، وبالتالي يكون الاحتلال هو المسؤول عن كل المشاكل الاجتماعية من جهل وسرقة وفساد. وفي كلا الرأيين ظلم للواقع القائم، خصوصاً عند الحديث عن عمالة الأطفال في الداخل المحتل باعتبارها ظاهرة اجتماعية غير صحية. إذ أن المسؤولية بالطبع مشتركة، فكما لا يصح يتم تجاهل واقع الاستعمار وآثاره على تخلّف المجتمع ووقوعه في الكثير من المشكلات، لا يصح أيضاً أن التمادي في استخدام الاحتلال كـ«شمّاعة» نلقي عليها كل ما لا نستحليه.

يمكن القول إذاً إنّ المشكلة تبدأ بالاحتلال وتنتهي عندنا. صحيح أنّ الاحتلال بقهره وظلمه ونهبه للأرض ومواردها، وبإفقاره للناس وتجهيلهم ودفعهم نحو اتخاذ خيارات معينة في الحياة، سبب رئيسي في توجّه العمالة الفلسطينية للدّاخل، ولكن - تحديداً في ما يخص عمالة الأطفال - فإنّ للعائلة والمجتمع دوراً كبيراً مستقلاً بذاته عن دور الاحتلال. فالكثير من الأسر تدفع بأطفالها دون السن القانوني للعمل من خلال الضغط عليهم ومقارنتهم بأقرانهم ممن يساندون عائلاتهم بالمال، وذلك وفي أحيان كثيرة بوجود الأب والأم اللذين يقومان باستغلال هؤلاء الأطفال مقابل الربح الوفير. كما يمكن إلقاء اللوم على السماسرة الذين يستغلون براءة الأطفال لسرقة حقوقهم وتعريضهم للمخاطر من خلال تهريبهم ونقلهم بطرق مستهترة.

> الكثير من حالات عمالة الأطفال في الداخل المحتل تنشأ وسط ظروف تفتقر للتوعية، وفي ظل غياب الحصانة الوطنية التي قد يكتسبها الطفل في محيط أسرته

### خاتمة

إنّ عمالة الأطفال في فلسطين تتخذ أشكالاً عدّة كدفع الأطفال للتسوّل في شوارع المدن، ولعلّ أحقر هذه الصور هي عمالة الأطفال في الداخل. فعدا عن أنها تحرمهم التعليم وتسلبهم طفولتهم كغيرها من الصور، إلا أنها تعرضهم للقاء حتفهم لخطورة التهريب والعمل في مستوطنات معادية في أساسها للوجود الفلسطيني.

يمكن القول إنّ الكثير من حالات عمالة الأطفال في الداخل المحتل تنشأ وسط ظروف تفتقر للتوعية، وفي ظل غياب الحصانة الوطنية التي قد يكتسبها الطفل في محيط أسرته، والتي قد تحول بينه وبين توجهه للعمل في الداخل المحتل وفي بناء المستوطنات تحديداً. ومن هنا قد يكون منبع الحل. فعند توافر الحصانة الوطنية لدى الطفل والأسرة يمكن الانطلاق نحو مسعى مجتمعي لمحاربة هذه الظاهرة وخلق بدائل تسعى في جوهرها لتثبيت الصمود الفلسطيني.

سلسلة قصص ضحايا الجرائم الاسرائيلية [1]

# كم مذبحة تتحمل الرواية؟

**سنحاول في هذه الحلقات استعراض جرائم الاحتلال الاسرائيلي من منظور علم الضحية، أو الـ Victimology . الضحية البريئة واحدة من فئات الضحايا المُدرجة، وهي لا تعرف المجرم وليس لها أي دور في وقوع الجريمة. كل ما في الأمر ان ظروفاً هيأت لها لقاء الجاني الذي يملك كلّ الاستعداد لارتكاب السلوك الجرمي**

■ محمد الصغير

نستعرض في هذه الحلقة روايتي الطنطورية وباب الشمس اللتين عالجتا قضيتي المجازر والترانسفير.

### مجزرةٌ وهجرة... فمجازر

"في بحرنا بئرُ سُكَّر. بئرٌ من الماء العذب مستقرّةٌ بين أمواج الماء المالح"، هكذا تَصِف رقية بحر قرية الطنطورة الواقعة على الساحل الفلسطيني، على بعد 24 كلم جنوب حيفا، فنتتبع آثار أقدامها الصغيرة في هجراتها المتكررة فوق شطآن صيدا وبيروت فأبو ظبي والإسكندرية.

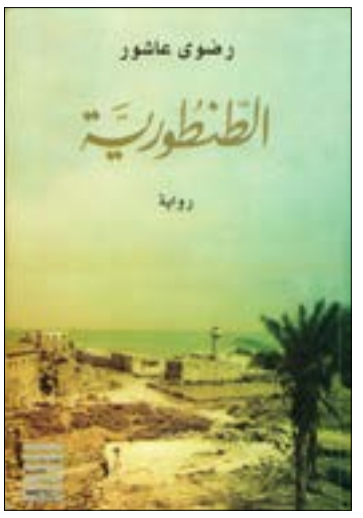


تمتد رواية "الطنطورية" على 58 فصلًا قصيرًا تستعرض فيها الأديبة رضوى عاشور رحلة العائلة منذ عام 48، حين هاجم لواء "ألكسندروني" القرية وارتكب مجزرةً فيها، حتى نهاية الرواية عام 2000، فلا نعرف من الذي يتبع الآخر: رقية الطنطورية أم المجازر؟

الطنطورة، صبرا وشاتيلا، ملجأ مدرسة الأطفال في صيدا، مجزرة بناية جاد.

تُرَحِّلَ الأمُّ أبناءها الثلاثة بعيدًا كلُّ واحدٍ إلى بلد، صادق إلى أبو ظبي، وحسن كاتب الروايات والمقالات عن المجازر إلى مصر وكندا، أما عبدالرحمن فيسلك طريقه "بالقانون" ويبدأ بجمع الاحصائيات والشهادات وتنظيم القضايا، بانتظار صدور القوانين التي تخوِّل اقرباء الضحايا محاكمة الجيش الصهيوني أمام المحاكم الأوروبية، لينتهي به المطاف في النهاية مهاجرًا إلى فرنسا.

تقف رقية في الفصل الأخير في العام 2000، بعد تحرير جنوب لبنان، على الحدود بين لبنان وفلسطين، على الطرف الآخر ومن داخل الأراضي الفلسطينية، يناولها حسن حفيدتها "رقية الصغيرة" من فوق الأسلاك الشائكة لتعلّقَ مفتاح منزلهم في الطنطورة فوق رقبتها، لتلتقي بعدها في المشهد الأخير بـ"ناجي" الآتي من عين الحلوة والجليل الأعلى، والذي رسمها مع "رقية الصغيرة" وهما تلتقيان فوق الشريط الشائك.

### مصيرٌ الكاتب أن يُنسى

مصير الكاتب أن يُنسى، فالكاتب العظيم يُنسى ويبقى أبطال رواياته، أما الكاتب السيئ فيُنسى هو الآخر مع أبطال رواياته. لا نعلَمُ هل ستنطبق مقولة إلياس خوري على يونس الأسدي بطل روايته باب الشمس، ذاك الذي يرقد في مستشفى الجليل فاقدًا وعيه، أم على أبطال الرواية الآخرين عدنان وأبو عودة، دنيا وأمّ حسن القابلة التي حين ماتت بكاها كُلُّ أهل مخيم شاتيلا، فخرجوا من بيوتهم و"انحنوا ليلتقطوا دموعهم"، أو حتى على شمس التي حَمِلت من زوجها يونس، وأنجبت منه الكثير من الأولاد، كدلالةٍ على الصراع الديموغرافي الذي بدأ مباشرةً بعد النكبة، و"الترانسفير" الذي لو حدث في القرنِ الواحد والعشرين لقيل بأنه تطهير عرقيّ.

عاشت شمس مع يونس الأسدي، طوال ثلاثين عامًا، في مغارةٍ في الجليل الأعلى على الحدود اللبنانية الفلسطينية، لتُشكِّل العائلة صلة الوصل بين المنفى والأرض "الأم".

كان يونس من أولئك الذين دأبوا على التسلل الى الأراضي الفلسطينية في بداية خمسينيات القرن الماضي، كي يعودوا إلى قراهم التي سكنها اليهود والعرب في الأراضي المحتلة، ليُطردوا منها مرَّةً أخرى أو يُقتلوا على الحدود. تتنقل الرواية بين قوتي جذب، قوة

الرمز التاريخي والفلسفي من خلال قصة الأسدي وزوجته شمس، وفجاعة الواقع المُعاش في المأساة وقسوة تاريخ الشتات الفلسطيني في المخيمات والداخل، وهو واقع مدوَّن وشفهي استفاد منه خوري ليُدعِّمَ الشق الفلسفي شبه الأسطوري في قصة "يونِس" العائد إلى فلسطين، و"شمس" التي بقيت هناك، مع ما تحمله الأسماء من رمزياتٍ دينية وفلسفية.

هكذا تروي "باب الشمس" التي حُوِّلت إلى فيلمٍ في العام 2004، على لسان خليل قصص شخصياتها الثانوية، قصَّة سقوط فلسطين وتشرُّد أهلها، في إطار شبه أسطوري لقصص واقعية أبطالها حقيقيون، حكَّائون لأحداثٍ متفرقة تجمعُ السردية الكُبرى لتاريخ النكبة والهجرة، والمجازر و.. الحب.

"هذا غير صحيح يا سيدي، الحكايات جاءتني من دون أن أسعى اليها. جدتي كانت تغرقني بالحكايات، كأنها لم تكن تفعل شيئا سوى الكلام. وأنا معها أتثاءب وأنام، والحكايات تطمرني".

القوس
■ فريق التحرير: عمر نشابة (المسؤول)، وفيق قانصوه، جنان الخطيب، صادق علوية، شفيق طبارة
■ تصميم فني وإنفوغرافيك: رامي عليّان
alqaous alqaous22 al_qaous alqaous
01/34 99 54
www.alqaous.com info@alqaous.com